الفصل الثالث

في الجزيرة بين دجلة والفرات بطريق جبل سنجار

١١ — ٢٥ نيسان ١٩١٤

اختيار الطريق الوعرة — اللصوص في مرقده — عبور نهر الخابور — الجراد في الجزيرة — ثلاثة ايام عند عرب الجبور — الغزو على عرب الجبور — السبي والعرس في عرب الجبور — امير اليزيدية والخوة — وردية — عين الغزال والجيش العثماني فيها عرب الجعافرة — التعدي علينا من قاطعي الطرق المضيق المخيف — استقبال محمد شيوخ — الاقامة ثلاثة ايام عند عرب شمر — الوصول الى الموصل

١٢ نيسان

تحركنا حوالي الساعة الثامنة صباحاً يتقدمنا الدركي الدليل فقرعت الاجراس والقلادات ورفعت الاعلام فوق الاحمال وكان دوي الاجراس مسموعاً على مسافة بعيدة وكان جميع اهالي دير الزور على منافذ مساكنهم وابوابهم وامام المخازن ينظرون الينا . اما ترتيب الحملة فكان التالي :

دركي دليل الطريق ثم بغل (الباشنك) وعليه العلم الرومي تتبعه جميع البغال

المحملة ورجالها والخدم واخيراً السائح وانا بعده ودركي معي . وكانت الحملة مؤلفة من ستة خيام كبار اثنان للنوم وواحدة للطعام وواحدة للمطبخ وواحدة للغداء وواحدة للعمال . اما الخيام الصغيرة فاثنتان واحدة حمام وواحدة للهندام ويتبع الخيام الكبيرة اسرتها وناموسياتها وطاولاتها وكراسيها ومراياها ومجادها . وخيمة السفره مع جميع ادوات الاكل من فضة وصيني الخ . خيمة المطبخ مع عدة المطبخ كاملة وفرن للخبز ووجاق للنار وغيره مما يلزم المطابخ الضرورية . الامتعة الخارجية هي فانارات للنور وعصي لتعليق الفنارات كراسي طويلة من القماش الخ .

ونقلت امتعة الحملة على ١٩ بغلا وخمسة حمير واربع رؤوس خيل للركوب والحصان المتقدم من الشيخ محمد الملحم

رجال الحملة : السائح : كاتب هذه الرحلة ، العشي ، السفرجي ، وشيخ المكاريه ومكاريته وعددهم ستة ، وسياس اثنين ، رجال الدرك اثنان فيكون مجموع رجال الحملة خمسة عشر رجلا يقصدون اجتياز الجزيرة منذ اليوم والمرور بالقبائل ، وقلة عددنا وضعف تسلحنا برهان على اننا متوكلون على الله وعلى قوة العقل لا على القوة البدنية . وبينما نحن سائرون في شارع دير الزور كنت اسمع باذني مثل هذه الكلمات يفوه بها اكثر الناس نساء ورجالا : (الله يساعد اهلهم الله يخلصهم) . وما زلنا سائرين برباطة جأش حتى انتهينا الى جسر الفرات الذي نعبره الى الجزيرة . وهناك دفعنا الرسم المفروض من الحكومة ، اعني بشلك عن كل جواد ، نصف بشلك عن كل بغل ، اربعة متليكات عن كل حمار ومتليكين عن كل رجل . والرسم هذا مفروض على مرور الجسر ليس الا

عبرنا ذلك الجسر فبلغنا ارض الجزيرة وواصلنا السير الى الساعة الخامسة مساء في اراض خضراء زراعية آهلة بالعربان سكان بيوت الشعر . وكان اولئك العربان في الحضر يخضعون للدولة ويستقرون في املاكهم لا يرحلون عنها ولا ينقلون . وما زلنا سائرين الى ان ادى بنا المسير الى نهر الخابور فنصبنا الخيام على ضفته في وسط باحة فسيحة تمتد الى جانب قلعة رومانية كبيرة وقد قام في جدار تلك القلعة حانوت صغير فيه بعض ما تحتاج اليه العربان المجاورون . والمحل الذي نزلنا فيه يعرف « بالسور » وهو مركز مديرية ونقطة عسكرية

اما صاحب الخانوت فبادر الى ذبح عجل صغير لما احس باننا مقيمون في تلك البقعة فاشترينا حاجتنا من اللحم لعشائنا في تلك الليلة . وكان الطقس جميلا والهواء بليلا وقد ازداد طراوة بامتزاجه بماء الخابور . وكان مدير الناحية قد علم بنزولنا هناك فجاءنا بصرف السهرة معنا وكان شاباً تركياً يجيد اللغة العربية فحدثناه طويلاً طالبين منه بعض الافادات عن احوال الطرق فاستدعى لنا بدوياً حضرياً وقفاً على اسرار الجزيرة باسرها فسألت البدوي عن طريق الموصل وعن احوال القبائل العربية التي تقيم في الجزيرة فقال من هنا الى الموصل طريقان : طريق شرقي على ضفة الخابور الشرقية وطريق غربي على ضفته الغربية والطريق الغربي مطروق وهو صالح لسير المركبات التي تمر بمحلين هما البديع وابو حامضه . وقلما مر اسبوع خالٍ من تعد على المسافرين ولكن المعتدين يكتفون بسلب المارة اشياءهم ومتعتهم ويندر جداً ان يتعدوا على الارواح . والاعراب قليلون على تلك الضفة

اما الطريق الشرقي فلا يصلح لسير المركبات وهو وعر جداً ومن يسلكه يخاطر في حياته . ومن شداديي الى الموصل كل المصاعب والاهوال : فمن تعديات عرب الجبور الى تعديات عرب الجعافرة فشمر فعنزه وكل واحدة من هذه القبائل اسوء خلقاً من الاخرى والشر كل الشر من جماعة اليزيديين المقيمين حالياً في وادي سنجار فانهم قوم كفرة يعبدون الشيطان لا رحمة في قلوبهم ولا شفقة ولا ذمة ولا وجدان ولا شرف يغدرون ويسلبون ويفتكون بالارواح ويقترفون كل منكر . بناء عليه انصح لكم الا تسلكوا الطريق الشرقي

ترجمت لرفيقي كل ما قاله ذلك البدوي فاجابني : وما الفائدة من رحلتنا اذا كنا لا نرى داخلية الجزيرة وما فيها من همجية وتوحش وعيشة طبيعية خالية من التصنع

١٢ نيسان

نهضنا من رقادنا باكراً فاوعزت لرجالنا ان يتأهبوا للرحيل ودخلت القلعة مع رفيقي السائح فوجدناها قد تردمت فامست لا تستحق الذكر وقيل لنا آنذاك ان الالمانيين مزمعون على مباشرة الحفر فيها وفي الاثار الموجودة على ضفاف الخابور . وتركنا السور الساعة الثامنة صباحاً وسرنا على الشاطيء الغربي نحواً من خمس ساعات ، وكان مسيرنا

بين مضارب العرب الحضريين وهم من الفلاحين المهتمين بحراثة الاراضي على الرغم من جهلهم لاحوال الزراعة واصولها

وكنا الساعة الواحدة بعد الظهر في نقطة تعرف « بالمرقده » حيث نصبنا الخيام على شاطىء الخابور . فالتف حولنا الاهالي يلاطفوننا ويطلبون منا ان نبتاع شيئاً من حاصلاتهم فاشترينا حاجتنا

«مرقده» اسم بلا مسمى فيها بيوت من شعر لجماعة العربان المقيمين فيها وليس لهؤلاء القوم سوى علف الدواب والحليب واللحم . وحين كنا في «السور» حذرونا من اهالي « مرقده » قائلين انا انهم يغتنمون الفرص السانحة لسرقة الاغراب

بيوت العربان المستحضرة في مرقده

فاحتطنا للامر في تلك الليلة وقمنا من رجالنا حراساً يتناوبون الوظيفة . وفي تلك الليل كان الطقس جميلا والجو صافياً والقمر منيراً ، على انه ما ازفت الساعة العاشرة حتى تلبدت السماء بالغيوم ثم امطرتنا مدراراً فاضطررنا الى سهر الليل خشية من السرقة

وحوالي الساعة الثانية صباحاً خرجت من خيمتي تفقد حالة الحراس فابصرت على الباب شبحاً ولشدة الظلام لم يسعني ان اعرف ما اذا كان شبح احد رجالنا ام شبحاً غريباً . فناديته بصوت عال قائلا من انت ؟ فسمع احد حراسنا صوتي واسرع الي حاملا مصباحاً . واذا بنا امام بدوي طويل القامة بيده الواحدة رسن دابة وبالاخرى سكين صغير .

قلت له : ارم السكين من يدك . فرماها واومأت الى الحارس ان يصفر ففعل وما هي الا هنيهة حتى كان جميع رجالنا حول ذلك البدوي فاشرت اليهم ان يفتشوه ففعلوا ولم يجدوا معه سوى جراب صغير ضمنه كمية جزئية من التبغ الناعم . فاوثقناه

وادخلناه الخيمة . وطلبت الى الحراس ان يظلوا على حذر خشية ان يكون وراء البدوي رفاق . وبعد استنطاقه عرفنا منه ان معه ثلاث رفاق وغلام كانوا قد تفرقوا حول حملتنا ليرقبوا الحراس ويتمكنوا من سرقة بغل وجواد وقد استحضر رسناً يجعله برأس الجواد وسكيناً يقطع به رسنه

وهنا خذ البدوي يستعطف ويرجوني لكي حل وثاقه مبيناً انه لم يقدم على السرقة الا بدافع حاجة وبه ولاظل الحكومة التي تعلمهم بعسفها وجورها على السرقة لما اقدم عليها

١٣ نيسان

حوالي الساعة السادسة صباحاً شرعنا نعد عدتنا للسفر وكان الطقس لا يزال رديئاً . وعند الساعة الثامنة غادرنا محلنا بعد ما ضاقنا سراح البدوي . وما زلنا سائرين تارة تحت المطر وطوراً في الصحو الى ان بلغنا «شدادي» و«شدادي» نقطة عسكرية ومركز مديرية تابعة لمتصرفية «دير الزور» وكان فيها يومذاك مديرتركي

بيوت المتحضرين في شدادي

وفي «شدادي» اثار قلعة رومانية وحولها حوانيت صغيرة فيها بعض العاديات الرومانية واكثرها نقود يعثرون عليها في الخرائب . وكان الطقس قد مال الى التحسن فنصبنا الخيام على مقربة من مركز المدير وبتنا ليلتنا متحفظين للطوارىء

١٤ نيسان

تركنا « شدادي » واجتزنا نهر الخابور الى الضفة الشرقية . ويعبرون النهر من ضفة الى ضفة على زورق صغير الحجم لا يسع اكثر من حصان او بغل فصرفنا في عبوره ما يربي على ثلاث ساعات

ونهر الخابور مخطر لانه ضيق وعميق جداً وتياره قوي وشديد لانه منحدر ومحصور ضمن ضفتين قريبتين الواحدة من الاخرى فالحكمة قضت ان نعبره كما يعبره الغير تلافياً للحوادث .

وما زلنا سائرين حتى انتهينا الى « فوزية » وكانت الساعة الواحدة بعد الظهر فاصبحنا في نقطة لا سيطرة عليها للدولة العثمانية واني اعني بالسيطرة عجز الدولة عن اخضاع القبائل المقيمة في تلك البقعة

فوزية الخيفة

وقيل لنا ان الجراد ينتاب هاتيك الاصقاع منذ ثلاثين سنة فاكثر ولا يهتم العربان بمكافحته على الاطلاق

الذباب الازرق : هذا النوع من الذباب يعيش بالمحلات التي تطول فيها اقامة الجراد فاستعدينا له فلبسنا قفازات ونظارات وعملنا كل الطرق حتى ما عاد يمكن الذباب الازرق ان يلمس محلا من اجسامنا لان الذباب الازرق مخيفاً اذا لسع قتل وكنت ترى رؤوس الدواب التي لسعها الذباب تتضخم بنوع هائل من الورم وتحمر عيناها فتصبح كالسكارى . وعن لنا ان نغير طريقنا تماماً من الجراد والذباب الازرق وكان هذان الصنفان يملآن الجو في تلك الوادي ، فسلكنا طريقاً جديداً كنا نجهل اوله وآخره . وانا لكذلك اذ

شاهدنا على قمة جبل خياماً عديدة تحولنا بسيرنا اليها . وما كدنا ندنو من تلك الخيام حتى ادركنا ان هنالك قبيلة كبيرة وما كنا نتوقع لمرور بقبيلة كهذه قبل وصولنا الى عرب الجبور

وحين انتهينا الى حدود تلك القبيلة توقفنا عن متابعة السير وارسلنا دركياً حاملا عصا في اعلاه منديل كبير (علم ابيض اللون وقد كتبنا له العلامة التي اعطانيها محمد شيوخ ومع هذه العلامة بعثت بعباءة حريرية هدية لشيخ القبيلة (الخوة) . ومرت ساعة على انتظارنا وما سيكون من امر رسولنا مع الشيخ واذ بالرسول عائد الينا مع ابن الشيخ يواكبهما خمسون فارساً بعث بهم لاستقبالنا ومرافقتنا الى مضارب قبيلته .

الامير الصغير علي

ولدى وصولهم الينا دنا مني ابن الشيخ — وكان شاباً في مقتبل العمر — وقال :

يامرحبا بالضيوف يامرحبا بالكرام لقد امرني والدي باستقبالكم ومرافقتكم الى منزله . فعندها قدمت الشاب للسائح مترجماً له مقاله فشكره ووالده على عطفهما هذا

واطمأنت ضمائرنا بعد شديد اضطرابها وسرنا وابن الشيخ وفرسانه الى ان انتهينا الى مضارب القبيلة ولم يتجاوز سيرنا نصف الساعة حتى ادخلونا سرادق الضيوف « بيت الاستقبال » حيث انتظرنا هنيهة . ثم اقبل علينا

الشيخ حمود سلطان امير القبيلة وبش لنا وهش وحيانا مرحباً بنا آمراً لنا بالجلوس فبالقهوة فدقت اجراس البن على عادة اولئك العربان بانغامها اللذيذة ثم قدمت لنا القهوة ثلاثاً وما استقر بنا المقام حتى رجوت من الامير ان يعد لنا مكاناً لخيامنا وامر رجاله بالعمل

وما هو غير القليل حتى كانت خيامنا منصوبة ثم سألت الامير قائلا :

ومن اين لكم بالماء الكافي لقبيلتكم ومواشيكم ؟

فقال : ان لنا ماء غزيراً على مقربة منا وسأذهب بكم الى محله . واخذنا قسطنا من

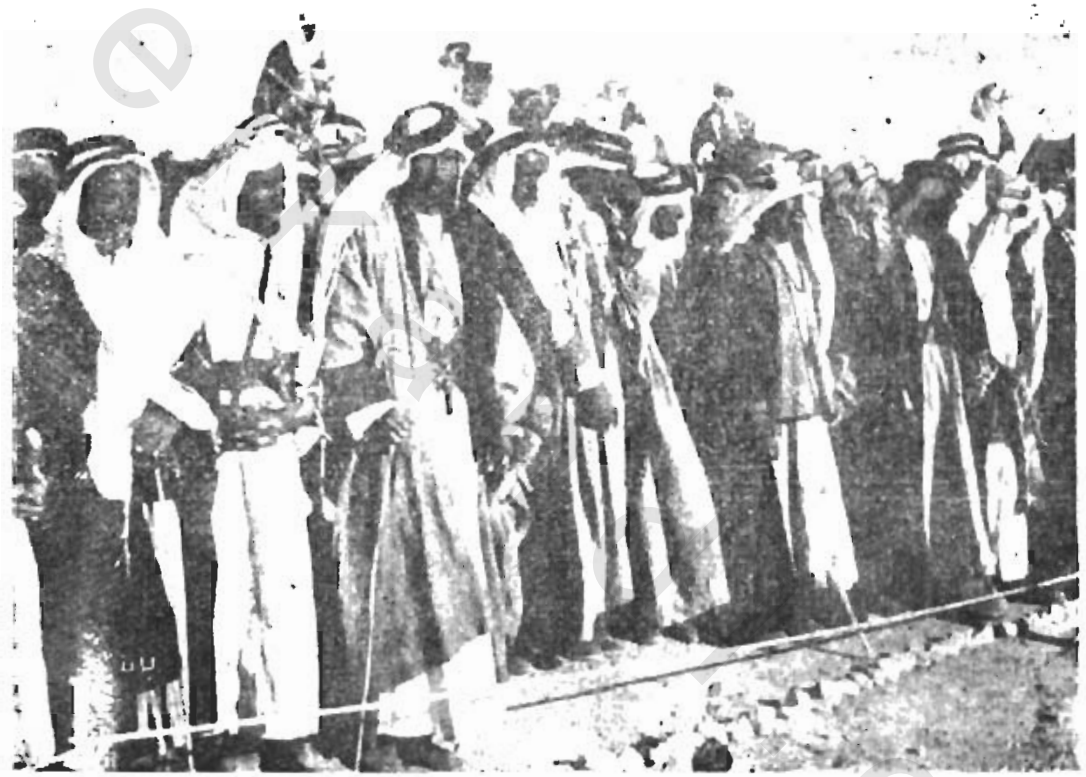

الوصول الى قبيلة الجبور

الراحة بعد ان شربنا القهوة فنهض بنا الامير وسرنا جميعاً الى مكان الماء وكان على مسافة قريبة من مضربه . فاذا بنا امام صخر طويل عريض حفره الاقدمون وجعلوا منه بحيرة تجتمع فيها مياه الامطار في كل عام

وعدنا الى القبيلة فاعلمنا الامير بحفلة زواج احد فرسانه ذلك المساء ودعانا الى حضورها فقبلنا الدعوة شاكرين . وفي الاجل المضروب لتلك الحفلة ذهبنا بمعية الامير الى باحة فسيحة كانت في وسط المضارب وقد نصبوا هنالك خيمة صغيرة معدة لاقامة العروس

قبل الزفاف . ثم ما لبثنا ان عرفنا ان حد فرسان الجبور سبا ابنة من احدى القبائل المجاورة . وهو العريس وهي العروس . وما طال الامر حتى جاء شيخ الدين وكتب كتاب الزوجين . ثم اخرجوهما الى الساحة حيث كانوا يعدوا عدة الالعاب الرياضية التي يقوم بها العربان في الحفلات الزواجية بعد ان وضعوا العروسين في خيمة نظموها كما يلي :

اوقفوا اربعة من لرماح ونفوا من حول هذه لرماح بلاس اسود من شعر الماعز فاصبحت بقياس نحو ثلاثة امتار مربعة . والجزوا في بادىء الامر سباقاً مصحوباً بلعب لرمح والسيف وعقب ذلك غناء النساء والبنات (العديات) ثم جاء دور لعب الجريد فاطلاق الرصاص

وبعد انتهاء ما تقدم رأينا الامير يضع في الساحة ثلاث قطع خشبية مختلفة الحجم ثم افرز قطعة منها ونادى قومه قائلا : من يستطيع ان يقطع هذه الخشبة بضربة سيفه كافأته بخمس نعجات . وكان طول الخشبة يبلغ نحواً من اربعة امتار ، فتقدم عشرة من العربان لاجراء العمل فتساوى ستة منهم بالاجادة وفشل اربعة . وعندها قال الامير للستة الفائزين : اجمعوا معاً قطعتين من الخشبة واربطوهما بخيط من الشعر ثم حكموا فيها سيوفكم . ففعلوا . غير ان واحداً منهم تمكن من قطعها بضربة واحدة فاخذ النعجات الخمس ومضى . ثم جاء الامير بخشبة ثانية ، كانت جائزتها اربعة خرفان ونادى قومه قائلا : هاتوا سيوفكم وحكموها في هذه الخشبة ، فتقدم ستة من العربان واجزوا العمل فلم يفز منهم غير اثنين ، وعندها امر الامير بجمع قطعتين من تلك الخشبة داعياً ذينك

الفرس والالعاب في قبيلة الجبور

الراجحين الى العمل فتساويا بالاجادة ونال كل منهما خروفين . ثم جاء الامير بالخشبة الثالثة وكانت جائزتها جملا صغيراً (حلال صغير) ودعا قومه كما مر فلم يتقدم منهم سوى فارسين حكما فيها سيوفهما وقطعاها بضربة واحدة . ثم فعل الامير فعله بالخشبتين السابقتين ففاز واحد منهما بالجائزة

وانتهت الالعاب الرياضية فدعانا الامير لتناول العشاء في مضربه فسرنا في خدمته وما كدنا ندخل الخيمة حتى وقع نظرنا على رسول يحمل كتاباً الى الامير فقرأه ثم كتب الجواب وصرف الرسول . وسألت الامير ما مضمون ذلك الكتاب فقال :

ان قبيلة تطلب محاربتنا غداً صباحاً في وادي العدس .

قلت : وما سبب ذلك ؟

قال : الابنة التي اختطفنا الان بزفافها وقدسباها الفارس الذي اقترن بها

قلت : أليس السبي مألوفاً عند العرب ؟

قال : بلى ولكن يحق للقبيلة المعتدى عليها ان تنتقم اذاشاءت ويظهر ان القبيلة التي تطلب الحرب غير راضية عن عمل فارسنا . لان الابنة التي سباها كانت مزمعة ان تتزوج فارساً من مشاهير فرسان قبيلتها ومن اهمهم واقربهم من الامير

قلت : وما كان جوابكم ؟

قال : اننا مستعدون للموقعة في وادي العدس صباح غد ان شاء الله . وتناولنا عشاءنا على مائدة الشيخ حمود وكان صورة طبق الاصل للطعام الذى تناولناه على مائدة الشيخ محمد من لحم ذا الطاولة وطريقة

العروس

اجلوس تختلف حيث جمعو خرجة الجمال بعلو تسعين سنتيمتراً تقريباً ونظموها بشكل طاولة ووضعوا حولها سجادة من الجنس الجيد جميلة النقش فاصبحت الطاولة كانها سجادة مدورة وضعت عليها صدور الاكل ، وكان حول الطاولة مقعد مدور على هيئة الطاولة مفروش من سجاد ووضعت الواحدة منها فوق الثانية حتى بلغ المقعد العلو المطلوب كانك جالس على كرسي الى طاولة ولا طاولة ولا كرسي . وقد لاطفنا الامير كل الملاطفة وما كدنا ننتهي من الاكل حتى تاول عبد الامير كتاباً جاء فيه ما يلي :

علمنا من رسولنا ان عندكم اليوم ضيوفاً واكراماً لهؤلاء الضيوف اجلنا الحرب الى ما بعد سفرهم لاننا رأينا العيب والعار ان نهاجمكم وانتم منهمكون باكرام ضيوفكم ، ثم نعتبر ان هؤلاء الضيوف هم ضيوف الجزيرة فهم ضيوفنا كما هم ضيوفكم

وكانت الكتابة هذه واردة اليه من امير القبيلة التي كانت تطلبه للنزال في صباح اليوم التالي فاجاب الامير على الكتابة شاكراً :

وعندها سالت الامير ما اذا كانت الموقعة على طريقنا وما اذا كان يلحقنا منها الاذى فاجابني قائلا ، ستكون الموقعة على طريقكم وتكون حينئذ حالة القبيلة حالة فوضى فلا يسع اميرها منع الاعتداآت والردع عن النهب والسلب والتفظيع فيحتمل ان اولئك العربان يلتقونكم في طريقكم ويحصل ما لا تحمد عقباه لان بين العرب اسافل

لوكندة الصحة

لصاحبيها ابرهيم ووديع حريز

زحله — لبنان

فندق جميل قائم فوق الصخرة على كتف الوادي وبين منتزهات عروسها فهو حلية في عنق زحله

اثاثه حديث ومتقن ، طعامه مفتخر ، الخدمة فيه عائلية ، حمامات وقاعات عديدة ومنار بالكهرباء ، واسعاره معتدلة ومن جرب عرف

وارذل نظير غيرهم من الامم والشعوب . الافضل ان تسلكوا طريق الوعر والجبال ولا اضن عليكم بدليل من قبيلتنا يرافقكم حتى الطريق السلطاني وهو على مسافة اربع ساعات من وادي العدس . وهناك تصبحون بمأمن من كل خطر

قلنا : شكراً لكم يا مولاي وامتناناً على عطفكم وحسن التفاتكم فيمكن اذاً ان نسافر غداً

قال : لا اسمح لكم بمغادرتنا غداً فانكم ستبقون في ضيافتنا يوماً آخر واذا شئتم السفر بعد غد فلا بأس بذلك

واراد الامير ان يتفقد احوال القبيلة فدعانا الى مرافقته . وجدنا منازل الشيخ قائمة خارجاً عن منازل القبيلة وعددها عشرة ولكل منزل منها بابان احدهما شرقي والثاني غربي وهي تمتد بالصف الاول من مضارب القبيلة وتنتهي في آخر صف منها . اما صفوف مضارب القبيلة ممتدة من الشمال الى القبلة ، فاذا شئت ان تخرج من القبيلة في اي صف كان تجد بيتاً من بيوت الشيخ بوجهك ، تلك هي وضعية القبيلة ، موقعها على القمة وتشرف على الوادي والى ورائها من الجهة الشرقية يقوم جبل وعر المسالك

جاء بنا الامير في بادىء الامر الى مضرب من مضارب اغنياء القبيلة دخلنا فرحب بنا صاحبه واجلسنا على مقعد من السجاد وما هو غير القليل حتى اقبلت ربة المنزل والجواهر والحلى على معصميها وفي اذنيها وحول عنقها وفي شعرها ، فابتدرت قائلة للامير امرك مولاي ؟ اجابها الامير : لا شيء انما نحن مارون من هنا كي نرى ضيوفنا بيوتكم التفت الى الشيخ سائلاً وماذا تعني الامرأة بكلامها وزوجها واقف بجانبها ؟

قال : العادة عندنا انه لما يدخل امير القبيلة بيتاً من بيوتها يصبح رب البيت تابعاً لا متبوعاً ويطلب الامير ما يشاء لان العرب يعتبرون اميرهم رب سائر البيوت . وقد ارادت الامرأة ان تستفهم مني ما اذا كنا نرغب ان نشرب القهوة ام ان نتناول عندها شيئاً آخر (كالشنينة او حليب النوق) وكان ذلك المضرب مظلماً لا نور فيه فسألت الامير قائلاً الا تستخدمون المصابيح في منازلكم ؟

قال : لا تستخدم القبائل المصابيح والانوار فهي تصرف الليالي في الظلام او على ضو القمر . على ان الامراء والمشايخ يستخدمون الانوار عند استقبال ضيوفهم

سألت كيف يعيش بيت كهذا ؟

قال : هذا بيت غني له ثروته من حلال وغنم وخيل . وهنا سألت رب البيت قائلا كم عندك من الجمال والنوق ؟

قال : اربعون جملاً وخمسون ناقة ، وقد انتجت النوق في هذا العام اربعة واربعين ذكوراً واناثاً .

قلت : وهل من تفاوت في النوق والجمال ام كلها متساوية !

قال : النوق والجمال مثل الخيل ، منها ما هو اصله كريم ومنها ما هو عادي

قلت : ما فائدة الناقة الكريمة الاصل ؟

لوكندة الشرق الكبرى

لوكندة بسول — بيروت

لوكندة من الطبقة الاولى موقعها جميل يشرف على البحر فرشها جديد متقن غرفها كبيرة ماء جارية بحن وبارد حمامات خصوصية مطبخ ممتاز

تلفون ٢٤ — ٦٣

بيوت الماشية في عرب الجبور

قال : يباع نتاجها بثمن اغلى من عادية الاصل فتكون ثمرتها والحالة هذه اكثر . غير انه لا يسعنا ان نتوصل دائماً الى النوق الكريمة الاصل فنضطر الى ابتياعها من مختلف الاجناس .

قلت : وكم عندك من الخيل ؟

قال : عندي اثنى واحدة وجوادان منها وكلها من الرسن المعتق المعروف بجودته

قلت : وكم عندك من الغنم ؟

قال : عندي الف نعجة حلوب وضعت كلها في هذا العام وموسم السمن في هذه السنة مقبل خيراً عندي ، اما الكبوش فاننا نبيعها ولا نحتفظ منها بسوى اجودها وهو ما يصلح للنزو ، بناء عليه لا يوجد عندي سوى مائة كبش

قلت : وما هي غلة النعجة على وجه التقريب ؟

قال : لا اعلم . فاننا سائرون على بركة الله ، لا كيل لنا ولا ميزان ، وعندها قال الامير : تتراوح غلة النعجة في العام بين الخمسين والستين من الغروش التركية الذهبية . واني اعني الغلة بالسمن والصوف . وهنا عدت فسألت الشيخ ما هو مأكول هذه الطبقة ؟

قال : يأكلون اللبن ويشربون الشنينة (ي ما تبقى من اللبن بعد خضه ورفع السمن منه) ويأكلون الارز والبرغل واللحوم من وقت لى آخر ولكن اكلهم اليومي اللبن والسمن والخبز ، هذا ما كول الطبقة الغنية اما الطبقات الاخرى فتختلف كثيراً

وجاء بنا الامير الى بيت قتل صاحبه تاركاً ارملة وفتاتين وكان من البيوت المتوسطة الحال . وما كدنا ندخل حتى انتصبت بدوية في عقدها الرابع ورحبت بنا كل الترحيب .

فقلت لها : لا شك انك في ضنك من العيش لانه لا رجل لك بعينك على متاعب الحياة . قالت : ان البدوية التي تفقد زوجها وقد اعدمها الله من الذكور تمسي حزينة منغصة العيش وتضطر ان تهتم بذاتها لامر معيشتها ومعيشة بناتها

قلت : أليس لزوجك من اخوة يهتمون بامرك ؟

قالت : اميرنا هو ابونا واخونا وعضدنا ومقيلنا من كل عثرة . وما زال الامير بخير فنحن بخير .

قلت : وهل لك من الماشية ما يقوم باودك واود ابنتيك ؟

قالت : عندنا من النوق والجمال عدد لا يستهان به عشرون ناقة وخمسة جمال وعندنا ثلثماية نعجة حلوب وخمسون كبشاً للنزو .

قلت : وهل عندكن خيل ؟

قالت : كلا من يركب الخيل عندنا ؟ وكانت ملابس المرأة وابنتيها من الحرير الناعم الثمين وكانت الحلى والجواهر تزين معاصمهن وآذانهن واعناقهن وشعرهن وكانت تبدو عليهن علائم النعمة والعيش البذخ . وقبل مغادرتنا الخيمة رغبت

البدوية تحمل ابنتها اليتيمة

في الاستعلام عن مقتل البدي زوج ت[illegible]ة فقيل لى : انه قتل دفاعًا عن شرف ابنته الكبرى فقد كان سباها مرغمة [illegible]رجل قبيلة مجاورة فلحق به والدها وخلصها فكمن له الرجل وقتله على مقربة من المخ[illegible]

ثم ذهب بنا الامير الى بيت من بيو[illegible]قراء القبيلة فاستقبلنا رجل في العقد الخامس واجلسنا على مقعد من الشعر وكان للر[illegible]ة واولاد اربعة : فافهمني الامير ان الجماعة هذه من افقر القبيلة

المبردات المختلفة المصنوعة على احدث الطرق الفنية في معمل «نعوم الخوري اخوان» طريق النهر ١٠٨ — هي المبردات اللذيذة الطعم ، المساعدة على الهضم والحائزة على الشهادات الصحية العديدة فاشربوها

نعوم الخوري اخوانه بيروت

سألت البدوي : هل عندكم شيء من الحلال ؟

قال : عندنا من كرم الباري عشر نوق وجملان

قلت : وهل عندكم شيء من الغنم ؟

قال : عندنا خمسون نعجة وعشرة خرفان

قلت : وهل يقوم ذلك باودكم ؟

قال : نعم وما زال اميرنا بخير فنحن بخير . واذ كنا سائرين دارت بيني وبين الشيخ المحاورة الآتية :

قلت كيف تتألف القبيلة ؟

قال : تتألف القبيلة عندنا من اقسام اربعة :

١ العائلة والعبيد

٢ حرس العماريات

٣ الجيش المسؤول عن حماية القبيلة جمعاء (الفرسان)

٤ الرعاة وهم المكلفون برعاية الحلال (المواشي)

قلت : وهل يريد سيدي الشيخ ان يتكرم علينا بزيادة الايضاح ؟

قال : القسم الاول يعني العائلة والعبيد . فالعائلة هي البيت الذي يخول حق السيادة على القبيلة وللعائلة نظام خاص تسير بموجبه . ومن دأب هذا النظام ان يخولها حقوقاً يعترف بها الجميع . وتؤخذ نفقاتها من واردات القبيلة وتجبى مع سائر الضرائب اما حصص افرادها فتوزع عليهم بنسبة درجات قرابتهم من الشخص المسؤول وهو شيخ القبيلة او اميرها . فحصة اولاد عمي فوق حصة ابناء خالي وحصة اولادي فوق حصة ابناء عمي

قلت : وهل لابناء خالك حصة ، وهل تعتبرونهم من العائلة بمجرد انتسابهم اليكم او ماذا ؟ قال : ان ابناء خالي من العائلة لان والدتي من عصبنا ومن دمنا ومن عائلتنا . على انها لو كانت غريبة لما حق لاخيها وابنائه شيء عندنا اذ ان المال خاص بالعائلة دون سواها .

قلت : وهل لسيدي الشيخ ان يفهمنا عن مقدار ما يتقاضاه كل من افراد العائلة ؟

قال يسعني ان اوقفكم على القاعدة التي نتخذها اساساً للتعديل في جمع المال وتوزيعه على الافراد . وهي القاعدة المعمول بها عند سائر القبائل وقد بنيت على اساس ثابت

مقرر لا يقبل التغيير والتحوير في بادىء الامر كانت كل قبيلة تقدر بمائة بيت وكان المال يوزع على هذه البيوت بنسبة الواردات فان ازدادت البيوت ازدادت معها الواردات وكبرت الحصص بالنسبة اليها واذا نقصت البيوت نقصت معها الواردات بالنسبة الى ذلك النقص

قلت : لم افهم قولكم فاذا شئتم تفضلوا بزيادة الايضاح

قال : من العادة ان يكون لكل بيت عشرة جمال على الاقل وعشرون نعجة حلوب فيتمكن بذلك من العيش في البادية ويفرض على كل بدوي من اصحاب البيوت ان يدفع للادارة مبلغاً معيناً عن كل

من فرسان الجبور

جمل ومثله عن كل نعجة وتعرف هذه الضريبة بضريبة الحماية ، وخلا ما تقدم فان على كل بدوي صاحب بيت فرضاً على الغلال وعلى نتاج الحيوانات وعلى واردات الصوف والسمن وما شاكل ذلك فعلى هذا التعديل يدفع البدوي ثلاثين بالمائة من وارداته . ثم يدفع عن كل فرد مبلغ معين بدلا من حماية الارواح وتعديل هذا كله ثلاثون بالمائة من الدخل . وبعد ما تقدم لا عهدة اصلا على البدوي المذكور قلت . ما معنى هذه العهدة ؟

قال بمعناها اننا نحن المسؤولون عن حمايته وحماية عرضه وحلاله بسيوفنا ورماحنا وفرساننا وقوتنا المادية والمعنوية . فيعود الينا البدوي في اموره كلها

قلت: فليتكرم علي سيدي الشيخ بشرح حال العبيد

قال : ان اهمية العبيد في القبيلة قدر اهمية العائلة . والعبيد الذين رأيتموهم هم ابناء العبيد الذين خدموا ابائنا واجدادنا . وسيخدم ابناؤهم ابنائنا

قلت : وهل لهؤلاء العبيد من حقوق محفوظة ؟

قال : على سيد كل قبيلة ان يصون العبيد وعائلاتهم محافظاً على كيانهم كل المحافظة . واذا اتفق ان عبداً خان سيده وتآمر على قتله جاء الامير خليفة سالفه وقتل العبد وقضى على ذريته عن بكرة ابيها . وقد كان التوفيق اليفنا وحليفنا فيما يتعلق بالعبيد فقد كانوا ابداً ودعاً مخلصين . ويعيش نساؤهم مع حرمنا كما ان رجالهم يعيشون بين رجالنا . نحبهم حباً عظيماً وليس في القبيلة من له منزلتهم من الدالة على العائلة فهم مختلطون بنا ليل نهار وهم الكل في الكل

قلت : وهل للعبد من معاش ؟

قال : كلا . وليس للعبد ان يملك حلالا انما ملك مولاه ملكه على انه اذا رام سيد العبد ان يطرده من خدمته حق لذلك شيء كما هو معروف في انظمة القبائل .

بيوت العبيد في قبيلة الجبور

قلت : وهل للقبائل بهذا المعنى انظمة مكتوبة تتمشى بموجبها ؟

قال : ليس للقبائل انظمة مكتوبة ولكن المتقدمين سناً مطلعون عليها فنستشيرهم بأمرها

قلت : وهل تفرض هذه الانظمة معاشاً للعبد اذا طرده سيده من خدمته ؟

قال : لا بد حينئذ من فرض معاش للعبد يختلف باختلاف افراد عائلته حتى يتمكن من الحياة . وكثيراً ما يفضون المشكل هذا بالحسنى فيأخذ العبد عدداً من الحلال متخلياً عن كل معاش في المستقبل هذا اذا كان العبد قد طرد من الخدمة بدون ما ذنب جدير بالذكر . اما اذا كان طرده مولاه جريمة اقترفها فلا يحق له شيء ولا

يعطى شيئاً .

قلت : واي ذنب يستوجب طرد العبد وعائلته مجرداً من كل تعويض يكفل معاشه وهو لا يملك شيئاً ؟

قال الخيانة . ولكنها تتنوع . اذ ليست على اطلاقها مما يستوجب اعدام العبد وابادة ذريته .

قلت : والى من يعود جواد العبد ؟

قال : الى سيده اذ ان العبد فرد من العائلة يعيش في مطبخها ويرتدي من ملابسها ويدخن من تبغها . وليس سوى المقام ما يفرق بين الامير وعبده

قلت : وما هي طريقة معيشة العبيد والجواري الفردية والعائلية

قال : افهمتك سابقاً انهم يعيشون مع العائلة بلا قيد ولا شرط

قلت : احب ان اعرف طريقة زواجهم وتربية اولادهم ومعيشتهم العائلية حال كونهم مقيدون بالخدمة ؟

قال : ان العبيد على ثلاثة اقسام ، فالقسم الاول مخصص لحراسة كبير العائلة او امير القبيلة ، والثاني مخصص بخدمة المنزل ، والثالث لسياسة الخيل الخصوصية .

كذلك الجواري على ثلاثة اقسام . الاول لخدمة الحرم الخدمة الخصوصية ولمرافقتهن في الحل والترحال . الثاني لاعداد طعام العائلة وما يختص بانواع الاكل . الثالث لغسل ملابس العائلة وتنظيفها وترتيبها . واعلم ان لكل عبد ساعات معينة في اليوم يصرفها في منزله الخاص .

قلت : وهل للعبيد منازل خاصة بهم ؟

قال : افدتك ان العبد لا يملك شيئا لنفسه . غير انه متى اصبح العبد رب عائلة نقدم له منزلا لابوائه ونوعثته له الاثاث اللازم فيجتمع فيه الى امرأته واولاده حين فراغه من الخدمة . قلت : واذا ولدت الجارية ؟

قال : متى حملت الجارية نوقفها عن الخدمة الى ان تلد ويكبر ولدها ويصبح في وسعها ان تتركه بدون ما انزعاج . وفي تلك الاثناء تأكل وتشرب كعادتها وهي في بيتها لا يكرهها احد على المجيء الينا .

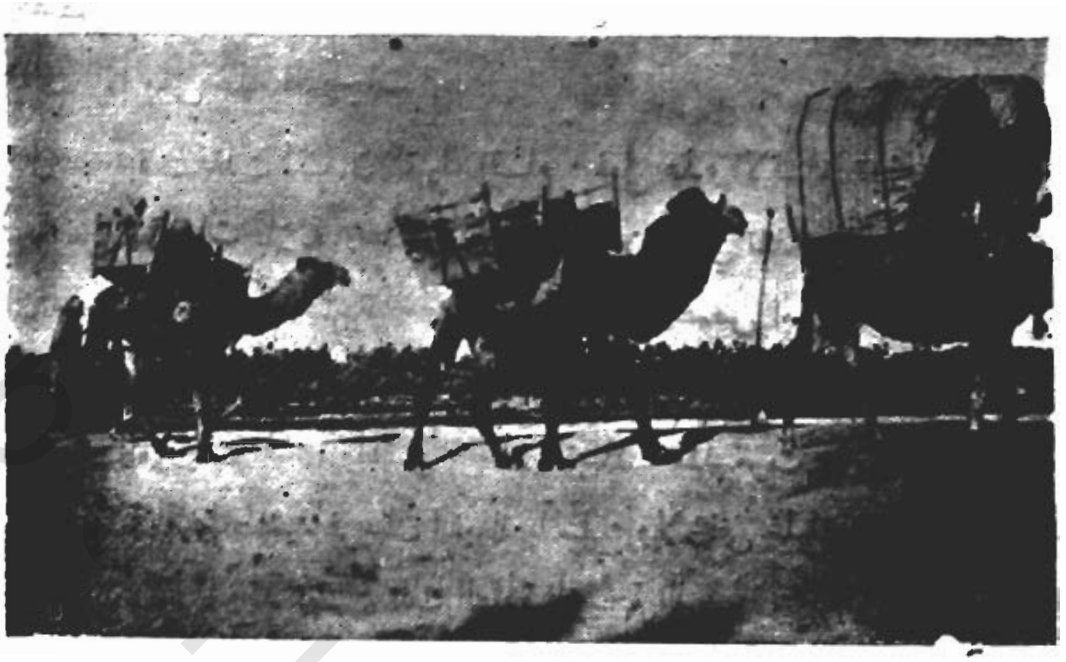

الهوادج او ركايب العماريات في القبائل

قلت : وقد يجبان معاً فمن يخدم العائلة اذ ذاك ضحك وقال · زواجهم منوط بنا والذي يتزوج منهم قليل فاننا لا نريد ان نجعل قبيلة من عبيد وجوار فيلزمهم اذ ذ ك نفقات كثيرة · في القبيلة كلها الان يوجد اثنتان متزوجات وما بقي من الجواري كبرن فلا يصلحن للزواج · و كذلك الرجال ، والحالة هذه لا يوجد عندنا الاجارية واحدة معطلة عن الشغل ·

وشعرت بانني ربما ازعجت الامير بكثرة الاسئلة فلزمت الصمت هنيهة · غير انه عاد فقال : لا تظنن انك ازعجتني · كلا فسل ما تشاء ·

قلت : وهل كل ما في القبيلة من حلال مالك العائله ؟

قال : كلا · بل لكل بيت حلاله وللعائلة حلالها الخاص ·

قلت : و كيف يملك البدوي حلاله؟

قال : ان اهل البادية باجمعهم يملكون في الاصل حلالا · ومتى غزت قبيلة غيرها وتغلبت عليها تقسمت الغنيمة نسبيا بين الغزاة ·

قلت : اذا شاء سيدي فليزدني ايضاحا بشأن تقسيم الغنائم ·

قال : تقسم الغنيمة هكذا :

يخصص منها خمسون بالمائة للادارة وتوزع الخمسون الاخرى بنسبة الدرجات

قلت : ما معنى هذه الدرجات ؟

قال . سبقت فقلت لك ان القبيلة اقسام . فعلى هذه الاقسام توزع الغنيمة ... يأخذ حرس العماريات ثلاثة وعشرين من الخمسين التي تفضل عن الادارة ويأخذ الفرسان سبعة عشر والرعاة عشرة . ويتفق احيانا ان يخصص امير القبيلة شيئا ببعض الرؤساء وذلك تابع لظروف الزمان والمكان فليس منه شيء محدود .

وحرس العماريات اقوى وافضل فرسان القبيلة . فقد مرت عليهم غزوات وحروب عديدة فهم والحالة هذه اشد فرسان القبيلة بأسا . ولا يخفى عليك ان حماية العرض اهم شيء في نظرنا لا سيما وقد تفشت تلك العادة القبيحة الذميمة عادة السبي قلت . ارجو من سيدي ان يزيدني شرحا عن حرس العماريات وغيرهم من القبيلة .

قال . ان لهؤلاء الابطال دائرة خصوصية ولهم رئيسهم او مديرهم . وهو يراقب حالة المجاورين متبعا لظروف الزمان والمكان . وهو المسؤول عن حماية العرض بمعاونة ابطاله . ومن هؤلاء الابطال نختار قواد الفرق التي نسميها الفرسان . والفرسان او الجيش المسؤول عن حماية القبيلة منظمون فرقا ولكل فرقة رئيسها او مديرها ولهم جيادهم وسلاحهم على حساب ادارة القبيلة .

اما قسم الرعاة فهم الذين يخدمون الماشية مهتمين بنتاجها وسائر ما يتعلق بها من جز صوفها واعداد سمنها وما شاكل .

لوكندة عاليه الكبرى

لاصحابها جميلي اخوان

لوكندة ممتازة في بنائها وخدمتها ومطبخها تحتوي على جميع وسائل راحة المصطاف « الشيك » وهي افخم لوكندة في لبنان

فارس جبوري وعائلته

قلت: وكيف يكون هذا البدوي فارساً واخر راعيا واخر محترفاً حرفة اخرى اذلك عائد الى مجرد ارادتكم ام ماذا ؟

قال :لا ارادة لي بهذا الامر ، انما هي ارادة البدوي مجردة من كل ضغط وقسر ·والبدوي راع في الاصل غير ان يسعه ان يتقدم باجتهاده وشجاعته · والعدل عندنا موجود ·

عندمايبلغ البدوي الرابعة عشرة من عمره يذهب الى الرماية مابرفقتي او برفقة من اعينه ويقضي كل يوم ثلاث ساعات يتمرن فيها على الرماية ويدوم التمرين هذا تسعة اشهر وهي المدة التي نصرفها مقيمين في المحلات · وتصرف الاشهر الباقية في الحل والترحال وهي زمن العطلة والفراغ · فاذا انقضت الاشهر التسعة واصبح البدوي يحسن الرماية فيصيب الهدف ثمانين مرة من كل مائة رمية جعلناه فارسا والا يبقى راعياً · ثم متى بلغ سن العشرين يعاد تمرينه على الرماية شهرا واحداً · فاذا نجح ترقى الى رتبة فارس · والا بقي راعياً · وفي الخامسة والعشرين يمرن ثالثة شهرا واحدا وهو اخر تمرين فاذا نجح صار فارساً والا فانه يصرف حياته راعيا ·

قلت : وهل هو نظامكم منذ الاصل ام كان لكم نظام قبله ؟

قال : كانوا قديما يمرنون البدوي على ضرب السيف فيفرضون عليه ان يقطع بجده وبضربة واحدة اشياء اعدوها لهذه الغاية ثم جاءت الرماية فحلت محل ضرب السيف ·

قلت : وكيف يترقى الفارس الى درجة حرس الحريم ؟

قال : نختار الفرسان الذين ابلوا في المواقع وتغلبوا على الخصوم وكانوا من العاملين

في سبيل صالح القبيلة وترقيهم الى الدرجة التي اشرت اليها اذ على الحارس ان يبرهن على مقدرته التامة من سائر الوجوه وان يكون بالتالي « خوش راجل » اعني رجلا بكل معنى الكلمة ٠

قلت : وما هي واجبات البدوي للعائلة سيدة القبيلة ؟

قال : على كل بدوي يلجأ الينا ان يدفع مبلغا معينا في السنة ونعتبر هـذا المبلغ فريضة على الحماية ٠ وتختلف هذه الفريضة باختلاف السنين ٠

قلت : وماذا يدفع في هذه السنة ؟

قال : ربالا مجيدياً ومثله امرأته وكل من ابنائه ٠

قلت : وهل يلتزم بدفع الفريضة عن ابنائه وهم اطفال ؟

قال : نعم يلتزم بذلك منذ ولادتهم ٠

قلت : وماذا يدفع البدوي خلا ما ذكر ؟

قال : يدفع كما افدتم سابقاً ثلاثين بالمئة من غلة الصوف والسمن والجلد ونتاج الحلال ٠ جبايتنا على العدد اعني كذا عن زق السمن وكذا عن حمـل الصوف الخ فيقدر المبلغ الذي يدفعه البدوي ثلاثين بالمائة من وارداته السنوية ٠

قلت : الا ترون ذلك باهظا ؟

قال : كلا ٠ اذ لو كان البدوي يشتري من جيبه الخـاص جواده وخرطوشه وبندقيته ليتعلم الرماية لفاقت النفقة الفريضة المذكورة ٠ فهو لا يدفع شيئا مما تقدم٠ والنفقات هذه برمتها ندفعها من مال (الصر) الخزينة ٠

قلت : وكيف يسعكم احصاء هذه الغلات ؟

قال : ذلك امر هين ٠ تجمع الادارة الغلال المراد بيعها ثم تعقد اتفاقاً مع التجار الذين يقدمون على مشتراها ٠ وتباع الغلال صفقة واحدة وتقبض الادارة المال وتدفع لكل بيت ما يصيبه منه بعد حسمها حصتها ٠

قلت : وما هي اهم المواسم التي تعتمدون عليها ؟

قال : السمن والصوف ، يجيء بعدهما الجلد والفائض من نتاج الحيوانات ٠

قلت : وكيف تديرون هذه الاعمال ؟ هل تستخدمون الكتابة ؟

قال : ان لهذه الاعمال سجلات مختلفة ودوائر ومجالس

قلت : وما هي دوائركم ؟

قال : لنا دائرة المحاكم الشرعية . ومن اختصاصها الزواج والوفاة وحصر الارث والمواليد والطلاق وجميع الامور الشرعية والدينية .

ولنا دائرة المحاكم المدنية ومن اختصاصها اجراء العدالة بين المتنازعين والمتخاصمين ولنا دائرة المالية . ومن اختصاصها جباية الضرائب وتقسيم الغنائم وبيع الغلال وتوزيع واردتها واستبدال البعض منها .

قلت : وماذا تعنون باستبدال البعض منها ؟

قال : يقوم الاستبدال بان ياخذ كل بيت حاجته من الحنطة والذرة التي تزرعها القبيلة في املاكها الخاصة لاجل مؤونتها . وبدلا من ذلك يقدم للادارة من غلاله ما يعادل قيمة ما اخذه .

قلت : وماذا تعملون بالضرائب التي تجبونها ؟

قال : ان للامير حقا بان يتصرف بها كيف شاء ولكنه يأبى الا انفاقها في سبيل خير القبيلة فسن لها نظاماً يسير بموجبه كل من يخالفه ويلخص هذا النظام بما يلي . اولا ينفق الامير على العائلة انفاقا لائقا بها معززاً شأنها من شتى الوجوه .

ثانيا : ينفق من هذه الضرائب في سبيل مشترى الجياد اللازمة للقبيلة ومشترى سائر حاجيات هذه الجياد .

ثالثا : ينفق منها في سبيل مشترى سائر الاسلحة اللازمة لكيان القبيلة وصيانتها .

رابعا : ينفق منها في سبيل مشترى ادوات وقرطاسية دوائر القبيلة

اوتيل قصر الصنوبر ريفون

لصاحبه مبارك صفير

الذي اشتهر بمناظره الخلابة لانه يشرف على جبال صنين والبحر وتحيط به اشجار الصنوبر تجري قربه مياه نبع العسل . المطبخ والخدمة فيه عائلية — مياه جارية بالغرف ومنار بالكهرباء

خامسا : وتدفع منها جوائز الرجال الذين احسنوا الى القبيلة باعمالهم المجيدة .

سادسا : بالمال الذي يفضل عما تقدم يشتري لامير املاكاً ثابتة يخصها بصالح القبيلة جمعاء .

واذ كنا سائرين والشيخ يقص علينا الاخبار انتهينا الى خيمة جعلوها دائرة للمحاكم الشرعية . دخلنا فوجدنا هنالك بدويا جالسا على الارض والى جانبه كمية من الدفاتر والاقلام الرصاصية المتعددة الالوان .

بدوية من عرب الجبور

سألت : ولماذا هذه الاقلام الرصاصية الملونة فاجبت انها لتمييز القيود الواحد من الاخر وهذه طريقة تسهل الاعمال وتسرع بانجازها . فالزواج مثلا يقيد باللون الاحمر . فلو جاء احدهم وطلب الاستفادة عن يوم زواجه فتش المسجل عن ذلك في اللون الاحمر . والقيود عندنا متتابعة فانك ترى في الصفحة الواحدة الوانا مختلفة دلالة على اختلاف القيود . وقد اصطلحنا على تخصيص اللون الاحمر بالزواج ، والاسود بالموت والاخضر بالولادة وهلم جرا

سألت : واين يتعلم البدوي القراءة والكتابة فقيل لي : هنا في القبيلة .

قلت : وهل في القبيلة مدرسة ؟

قال : ان في قبيلتنا « مدرسة خوش مدرسة » اعني مدرسة عظيمة .

قلت : وهل يستقل هذا البدوي بقيد ما يلزم في هذه الدفاتر ؟

قال : كلا . فان شيخ القبيلة يؤلف مجلساً منه ومن معاونين اثنين فيقيد هذا البدوي كل ما يقره اعضاء المجلس . على ان المسائل المنوطة بالزواج والطلاق فينجزها شرعياً احد مشايخ الدين .

قلت : ومن اين لكم شيوخ الدين وانتم في البادية ؟

قال : هم دائماً معنا واليهم نسلم تعليم الاولاد القراءة والكتابة والصلاة في القرآن الشريف .

قلت : اهي خطة جديدة سلكتم بموجبها ام ذلك قديم العهد عندكم ؟

قال : هي خطتنا منذ نشأتنا وقد ورثناها عن ابائنا واجدادنا ولا جديد عندنا سوى استبدال الجلود بلورق واستبدال حبر الحشائش بالحبر الجديد والقلم الرصاص والمواضي بالمعدل وكان ايضاً في زاوية من الخيمة بدوي ثان والى جانبه دفاتره واقلامه الرصاصية وهو الموكل بتدوين الاعمال المختصة بالمحاكم المدنية . وتؤلف دائرة هذه المحاكم من رئيس وعضوين يختارهم الامير من اعيان القبيلة . وليس للمحاكم المدنية من نظام يتمشى عليه العربان انما لهم عادات يتمسكون بها منذ الاجيال القديمة وليس بينهم من يجهلها . والاحكام عند العرب عرفية على نوع ما غير ان العدل موجود فيما بينهم فلا حيف هنالك ولا ظلم .

وجاء بنا الشيخ الى خيمة اخرى فوجدنا هنالك رجالاً ثلاثة والى جوانبهم الدفاتر العديدة وكانت هذه الخيمة دائرة « المصر » او خزينة القبيلة او محل الضرائب والجباية حسب اصطلاحهم وقد نظموا اعمالها على النمط الاتي :

اولاً — دفتر لقيد اسماء افراد القبيلة . فجعلوا لكل بيت صفحتين يقيدون في احديهما اسماء الافراد الاحياء مضيفين اليها اسم كل مولود جديد في خلال السنة ويقيدون في الصفحة الثانية اسماء الذين يموتون من ابناء ذلك البيت وهكذا يحصون افراد القبيلة .

ثانياً — دفتر لقيد المواشي وفيه لكل بيت صفحتان يقيد في احديها عدد ماشيته وحلاله ومواليدها ويقيد في الصفحة الثانية عدد المفقود منها والمباع ويجمع في آخر السنة صافي تلك الحيوانات فتؤدي الضريبة المفروضة عليه

ثالثاً — دفتر للغلال التي تستلمها الادارة من كل بيت يقيدون فيه الكمية المسلمة

صاحب الرحلة في الجزيرة

واسعار بيعها مضيفين الى ذلك كل ما يتعلق بالاستبدال والمواسم وما شاكلها

رابعاً — دفتر التسليف فلومات حلال البدوي ولم يكن عنده من المال ما يكفيه لشراء حلال جديد اعطته لخزينة ما يشتري به الحلال اذ لا يسع البدوي ان يعيش بدون حلال . ثم تستوفي الخزينة ما لها من ذلك البدوي في خلال اعوام معلومة تعين تبعاً للظروف . ووجدت في تلك الدائرة دفاتر خصصت بالغزوات تقيد فيها الارباح والخسائر وتقسم على مختلف الدرجات البدوية . وقد جعلوا ايضاً في تلك الدائرة اربعة دفاتر مخصصة كما يلي :

احدها لقيد كل ما يدخل على الامير من مال ومتاع

ثانيها لقيد سائر نفقات الامير

ثالثها لقيد واردات القبيلة وهو مجموع ما يدخل عليها من سائر الغلال والمواسم والنتاج وهلم جراً .

رابعها لقيد نفقات القبيلة في سبيل ابتياع الاسلحة والجياد والذخيرة وهلم جرا

ودخلنا خيمة اخرى وقد خصت بالذخيرة . يقوم بحراستها اربعة رجال باسلحتهم . وقد وضعوا في تلك الخيمة الصناديق العديدة وكلها ملأى بانواع الاسلحة .

دنوت من مدير تلك الخيمة وسألته . كم عندك من الدفاتر ؟

قال : اثنان فقط ، احدهما للوارد والثاني للصادر .

قلت : وماذا تعني بذلك ؟

الشيخ حمود شيخ قبيلة الجبور في مجلسه اليومي

قال : تقيد الوارد هكذا . ورد الينا في يوم كذا بواسطة فلان بندقية عدد كذا خرطوش عدد كذا وهلم جرا . وتقيد الصادر هكذا . بتاريخ كذا سلمنا بامر مولانا فلانا بندقية نمرتها كذا وخرطوشا عدد كذا . والمقصود من ذلك ان يستطيع الامير معرفة ما عنده في البيت من سلاح وذخيرة بدون ما عناء ولا تعب .

قلت : وهل لك ان تفيدني عما عندكم من البنادق في الاونة الحاضرة ؟

توقف عن الجواب ناظراً الى الشيخ كأنه يستأذنه ، فاوعز اليه الشيخ ان يجيب على اسئلتنا ، فكشف دفتره واجابني فوراً . تسعماية في المخزن .

قلت وكم هي سيوفكم ؟

قال : ثلثماية

قلت : ومسدساتكم ؟

قال : اربعمائة

قلت : وهل تتجرون بالاسلحة ؟

قال : ان الجواب على هذا السؤال منوط بمولاي الامير . وعندها قال الشيخ لسنا نتجر بالاسلحة على الاطلاق ولكننا نتأهب للطوارئ والمفاجئات . اذ يتفق اننا نغزو

فنخسر سلاحنا ولا سبيل لنا اذ ذاك الى استجلاب ما يغطي خسارتنا قبل مرور اشهر ستة . وهذا على اقل تعديل وهيهات ان تسلم من مصادرة الدولة (يعني الدولة العثمانية وكانت حينذاك سلطانة تلك القيافي) بناء عليه يجب ان يكون في حوزتنا وبصورة دائمة ثلاث بدلات لثلاثماية رجل ولذلك نرى عندنا الان تسعماية بندقية . وهي افضل وسيلة لنعيش بمأمن من كل خطر .

قلت للشيخ : لماذا لا تسمحون لنا بالدخول الى بيت الذخيرة لنرى ما فيه ؟

وقف الشيخ حمود هنيهة ثم قال : (ما يخالف) تفضلوا

فقلنا اذا كان ثمة مانع يمنع دخولنا الى البيت فنحن نمتنع عن ذلك لاننا لا نريد خرق انظمتكم .

فضحك ثم قال : القبائل لا تفضح اسرار سلاحها وذخيرتها ولكن انتم كرام وسوف لا تقولون شيئاً مما ترون .

فقلت له : كن على يقين اننا لا نتلفظ بكلمة واحدة يمكنها ان تضر بكم فدخلنا البيت ووجدنا صناديق على الجانبين منضدة بعضها فوق بعض حتى سقف المخزن وفي وسطه بيوت جديدة من الجلد لاجل نقل الخرطوش وبندقيات من الطراز الجديد ومسدسات وسيوف وقرب للمياه ورماح

وادى بنا المسير الى المدرسة فاذا هي خيمة طويلة عريضة فيها الاستاذ وثلاثون طالباً وقد جلس جميعهم على الحضيض وما ان دخلنا حتى وقفوا على اقدامهم منادين بالصوت لواحد « ليعش مولانا وحامي حمانا »

وكان الاستاذ بدوياً من افراد القبيلة وقد اقتبس علمه في دمشق ومنها اخذ لقب « شيخ علم » . سألت الاستاذ قائلاً :

ماذا تعلم هؤلاء الاحداث ؟

قال : القراءة العربية وكتابتها وصلاة القرآن الشريف . وكان في الخيمة لوح اسود لتعليم الكتابة وهو شبيه بالالواح السوداء التي نستخدمها في معاهدنا

تركنا المدرسة عائدين الى مركز رجال حملتنا وفي اثناء مسيرنا مررنا بخيمة خصت بالحرم وقد فرشت بالسجاد العجمي الفاخر ووضعوا في كل زاوية منها فراش من صوف الماعز الناعم . فلم نشأ ان نتعرض كثيراً لامر النساء لاعتقادنا ان العرب يستهجنون

البحث عن ذلك فواصلنا المسير الى خيامنا

١٥ نيسان

نهضنا من رقادنا حوالي الساعة الخامسة صباحاً . وكنا نتناول القهوة حين دخل علينا الشيخ حمود يدعونا لحضور الاستعراض وكان الطقس جميلا للغاية

فسألته : وماذا تعني بالاستعراض ؟

اجاب : استعراض الفرسان الذين نعدهم للمنازلة لان الحرب واقعة بيننا وبين القبيلة المعهودة بعد مغادرتكم اراضينا

قلت : عفواً مولاي اعطنا بضعة دقائق فرصة لنجهز آلة التصوير

قال : ارجوكم ان لا تصوروا الاستعراض ، رغماً عن كل ثقتنا بكم لا يمكننا السماح لكم بذلك .

وحوالي الساعة الثامنة كنا والشيخ خارج المضارب وقد صحب الشيخ عشرة من

اركان قبيلته ونصف القوة الموجودة في القبيلة ·

قلت اهؤلاء كل رجالك ؟

قال : لا يسعنا ان نجرد القبيلة من كل قوة · فاننا نأخذ النصف ونترك النصف الآخر لحين الحاجة ·

قلت : وكم هو عدد النصف ؟

قال : مائتان وخمسة وسبعون فارساً · فاننا سنحرن هؤلاء قبل الظهر لنحرن النصف الباقي بعد الظهر · مشينا مسافة نصف ساعة فانتهينا الى ساحة فسيحة وكان الشيخ راكباً جواده · فاستل سيفه وشرع ينادي فرقه هكذا :

١ً فرقة المواضي · وهي الفرقة المخصصة بضرب السيف وكان عددها خمسين فارساً واخذ الامير يمتحنها بالهجوم والدفاع وبضرب السيف والرمح ثم امتحن الجياد واطاعتها للحركات وما شاكل ·

٢ً فرقة الفرسان · وهي فرقة الفرسان المسلحين وكان عددهـا خمسين فارساً ·

٣ً فرقة الحرس : وهي فرقة السواري لحرس العائلة وكان عددها خمسين فارساً ·

٤ً فرقة الابطال · اي نخبة القبيلة وعدد رجالها خمسون فارساً ·

٥ً فرقة المواصلات · اي الفرقة المحافظة على خط الاتصال بين القبيلة وساحة القتال · وعدد رجالها خمسون فارساً ·

٦ً رجال الشيخ اي الفرقة التي يبقى رجالهـا حول الشيخ بصورة دائمة تنفيذاً لاوامره وابلاغها الى الفرق الاخرى · وعدد رجال هذه الفرقة خمسة وعشرون فارساً · وقد سر الامير لدن شاهد قومه على اتم الاستعداد للنزال ، وعنـد الساعة الواحدة بعد الظهر عدنا جميعاً الى المضارب وكان العربان ينشدون الاغـاني الحماسية اكراماً لاميرهم · وما زلت اذكر منها ما يلي ·

يا شيخنا يا شيخ حمود رجالش(رجالك) شلها (كلها) اسود
بالحرب لا نخشى الوعود ولضيوفكم نحفظ عهود

· · · ·

بوادي العدس باشر (باكر) تشوف خيولنـا صفوف صفوف
ورماحنا مع السيوف ورصاصنا باشر تشوف

قسم من الحملة في الوعر

وكنا دعونا الامير لتناول طعام الظهر على مائدتنا فقبل الدعوة شاكراً . وبعد الغداء ذهبنا معه لاستعراض البقية من فرسانه وكانوا موزعين نظير الذين تقدموهم .

وانتهى الاستعراض عند الساعة السادسة مساء فرجعنا جميعاً الى المضارب . وعندها دعانا الشيخ الى العشا وما دقت الساعة الثامنة مساء حتى دخلنا بيت الاكل فاذا هو خيمة منارة ، مع ان العرب لا يستعملون النور فاردنا ان نعرف ما هو شكل النور المستعمل في تلك الخيمة فلم نرَ شيئاً من ادوات النور ظاهرة للعيان سألت الشيخ : ما هذا النور فادخلنا وراء الستار وجدنا مصابيح معلقة ومن حولها العبيد تراقبها خوفاً من الحريق . تناولنا العشاء على مائدة شيخ القبيلة (وكان عشانا حلال صغير لذيذ جداً) وقد نصح لنا ان نسافر ليلا ملافاة للطواري .

ورقدنا في تلك الليلة نحواً من ساعتين نهضنا بعدها نعد عدتنا للرحيل . وعند الساعة الواحدة صباحاً اقبل الشيخ حمود لوداعنا وقد تلطف فقدم لنا اربعة من رجاله البواسل يرشدوننا الى الطريق السلطاني . فساروا على طريق خاص وعر وكان الجو صافياً والقمر منيراً فساعدنا ذلك على المسير سراعاً ، وكانت السكينة سائدة لا نسمع سوى وقع حوافر الدواب لانا كنا نزعنا الاجراس والقلائد من رقاب البغال ومنعنا المكارية من الغناء .

١٦ نيسان

ما دقت الساعة السابعة صباحاً حتى كنا قطعنا الجبال ونحدرنا الى الوادي حيث سلكنا الطريق السلطاني . وواصلنا المسير نحواً من اربع ساعات فانتهينا الى «ام الديبان» فوقفنا هنالك نأخذ قسطنا من الراحة .

وام الديبان هذه قلعة من القلاع الكبيرة في الجزيرة وهي بوابة جبل سنجار وبلاد

اليزيدية . فيها خمسون دركياً سوارياً ويوزباشي وجاويشان وثلاثة من صغار الضباط . وهي نظيفة البناء ، نظيفة الغرف وقد فرشت على الطريقة البدوية . تناولنا الغداء في احدى غرفها وكان معنا على المائدة احد الجاويشين وبعد شرب القهوة سألنا الجاويش عن حالة الطريق السائرين عليه فقال . طريقكم عاطل جداً ويعرف هذا الوادي بوادي اليزيدية وهم قوم كفرة تجسم اللؤم فيهم ، لا ذمة لهم ولا وجدان دأبهم السلب والنهب والتفظيع والتقتيل لا يخشون سطوة الحكومة ولا تردعهم هيبتها عن اقتراف الجرائم وقد اعتدوا مؤخراً على جمال باشا اثناء ذهابه الى الموصل .

قلت : وكيف كان اعتداؤهم هذا ؟ اليس للحكومة قوة كافية لكبح جماحهم والضرب على ايديهم ؟

قال : ان للدولة كل القوة على ذلك غير انه لا يسعها ان تبقي هنالك رجالها يحاربون اليزيدية . وقد اضطرت الى اعطائهم نوعاً من الحرية والاستقلال الاداري معينة لهم حاكماً منهم معترفة لهم بحقوق خاصة يتمتعون بها . ولم يكن تصرف الدولة هذا مع شعب آخر من شعوب الجزيرة .... وعين جمال باشا والياً على الموصل . ولما كانت هذه البقعة داخلة في ولايته شاء ان يتفقدها ويدرس احوالها وقد استصحب خمسين فارساً مع ضباطهم ارتاحوا هنيهة في هذه القلعة ثم مشوا عند الساعة الثالثة صباحاً . ولما انتهوا الى قلب القبيلة اليزيدية اوقفهم اميرها ولا شك انه سيوقفكم .

قلت : وهل كنت مع جمال باشا ؟

قال : نعم وقد رافقته حتى « عين الغزال »

اذهب ايها المريض الى المستوصف العام

للدكتور انطون شلفون

شارع مار نقولا زقاق مار لويس — بيروت

اعظم واتقن مستوصف

قلت : ارجوك ان تزيدني ايضاحاً .

قال : ما كدنا نصل الى وسط القبيلة حتى رأينا اميرها راكباً جواده يحيط به عدد كبير من رجاله . فدنوت منه وقلت . ايها الامير ان القادم اليكم هو جمال باشا والي الموصل الجديد .

قال : يمكنه ان يؤدي لنا مبلغاً وافراً من مال الخزينة .

قلت : ذلك مما يصعب عليكم . واذا ما تصلبتم برأيكم حسبت الدولة عملكم هذا عصياناً عليها وتمرداً .

قال : ولماذا تعتبرون ذلك عصياناً ؟ اليست الارض ارضنا ؟ اما نحن احرار فيها نسمح بمرورها لمن نشاء ونمنع من ذلك من نشاء ؟

وعبثاً حاولت اقناعه بالعدول عن مطلبه قبل ان يدرك الوالي الامر . فاضطررت ان اعلم الباشا بما كان بيني وبين ذلك الامير . حينئذ دنا منه جمال باشا وقال . ماذا تطلب ايها الامير ؟

قال : الخوة (رسم المرور)

قال الباشا : اليست هذه البلاد خاضعة للدولة العلية ؟

اجاب الامير : بلى ، ولكن خضوعنا هذا لا يحول دون طلبنا رسماً على مرور اراضينا .

وعندها اخذ الباشا يلاطفه ويقنعه بالعدول عن مطلبه مبيناً له ان عمله هذا يجر الويل عليه وعلى قبيلته . ثم قال له . اننا لا نحمل دراهم ولكننا سنرسل اليكم الرسم بعد رجوعنا الى الموصل . فاطاق الامير سبيلنا وتابعنا المسير الى عين الغزال ورجعت الى القلعة في اليوم التالي .

قلت : وماذا جرى بعد هذا الحادث ؟ هل صرفت الدولة نظرها عن هذا الاعتداء ؟

قال : كلا . فان جمالا كتب الى الاستانة يخبر اولياء الامر بما وقع فجردت الدولة حملة بعثت بها الى اليزيدية . وقد مضى على وصول الحملة نحو من ثمانية اشهر . وما زال رجال الدولة في حرب مع اليزيدية لم يتمكنوا من تدويخهم واخضاعهم لانهم عصابات وجبالهم تساعدهم على المقاومة . ثم اردف الجاويش قائلا .

جبال سنجار وعرة للغاية وهي ملأى بالقلاع الطبيعية وما زالت الدولة تحارب

اليزيدية . وقد فهمنا انهم اوقفوا القتال منذ عشرين يوماً فان الدولة الروسية تدخلت تروم وضع حد لهذه الحالة . وسبب ذلك ان لليزيديين جماعة عديدة منهم يعيشون بين الروسيين على حدود روسيا .

وقد طلب اليزيديون ان يؤدوا للدولة التركية فريضة معينة في كل سنة بشرط ان يكونوا احراراً في بلادهم يسنون لانفسهم الانظمة والقوانين . وما زالت المفاوضات بين اليزيديين والحكومة كما ان عساكر الدولة ما زالت مخيمة في عين الغزال ولسوف تشاهدونها هناك

قلت : ان رفيقي سائح رومي ، فيحتمل والحالة هذه ان يراعي اليزيديون حرمته

قال : على كل حال ينبغي لكم ان تتصرفوا بكل حكمة مع هؤلاء الجماعة واياكم والعنف والكلام الجارح

قلت : على الله الاتكال

تركنا القلعة ومررنا ، وبعد ساعتين او اقل كنا في مدخل الوادي فشاهدنا على مقربة منا خياماً سوداء قامت على شكل هندسي يخالف جداً تنظيم مضارب العربان فسألنا لمن هذه الخيام ؟ فقيل لنا : هي خيام اليزيدية الذين يقطنون السهل في ايام المواسم ثم يعودون في الصيف الى جبلهم « سنجار » و كانت لا تقل الخيام عن الالفين عداً وقد قسمت الى اثنين احدهما عن يمين الطريق والثاني عن شماله، فكان لا بد لنا والحالة هذه من المرور في الوسط . مررنا واذا بنا امام وجوه وهيئات تختلف جداً عن كل ما رأينا في الجزيرة ، الجمال باد على جميعهم رجالا ونساءً لون وجوههم ابيض مائل الى الاحمر البنية

المطحنة الوطنية بيت شباب

لصاحبها : اميل ملحم جبر

مجهزة بافضل الآلات الحديثة واتقنها مفتوحة الابواب في كل يوم — خلا الاحاد — لطحن جميع انواع الحبوب بعد غربلتها وتنظيفها باسعار لا تجارى

فيها جميع انواع الحنطة الفاخرة واسعارها لا تزاحم . والتجربة اكبر برهان

امير اليزيدية وفرسانه

عندهم قوية حسنة

عدد اليزيدية في جبل سنجار نحو ستين الف نسمة ما عدا المشتتين في الجوار وعلى الحدود الروسية

وما مشينا بين تلك الخيام ما يناهز نصف الساعة حتى التقينا جمًا من الفرسان يتقدمهم شاب جميل الطلعة على قبعته ريشة بديعة الشكل

فما كان من ذاك الشاب الا انه استهل كلامه قائلا :

انا امير اليزيدية وصاحب هذه البلاد وسيدها وليس لاحد ان يمر من هنا قبل ان يؤدي رسم المرور (الخوة)

امير اليزيدية : يطلق اليزيديون هذا الاسم على زعيمهم باعتبار انهم قبيلة ولها امير اسوة بالقبائل العربية ولكنهم ليسوا من البدو فهم سكان قرى ولهم املاكهم في السهول المجاورة للقبائل العربية وقد حذوا حذو البدو عندما يكونون في تلك السهول فيتخذون لهم اميراً وفرسانا وحراساً الخ

قلنا : ان الامير ابتدرنا بطلب (الخوة) رسم المرور فاجبته :

نحن مستعدون يا مولاي للاطاعة فما هو هذا الرسم ؟

قال : لسنا نعين على الكريم مبلغًا

حسن ولكن اليست لكم عادات تتمشون عليها ؟

قال : بلى ، ولكننا نتوقع منكم رسمًا يناسب سامي مقامكم

قلت : اننا ندفع رسمًا معينًا عن كل رجل وعن كل دابة اذا شئتم او افيدونا ما هي

الطريقة المتبعة لدفع الخوة ؟

قال : عليكم ان تدفعوا مائتي ليرة عثمانية

قلت : سمعاً وطاعة . غير اننا بعثنا بالمال الذي كنا نحمله الى وردية عن طريق الوعر لان العرب اظهروكم لنا بصورة تخشى صولتها فاضطررنا لى تهريب المال . ولو كنا حسبناكم هكذا لبني الجانب لما فعلنا ذلك . فيسعك الان ان تختار رجلا يصحبنا في سفرنا فنؤدي له المبلغ تماماً وكمالا

قال : وهل يسوءكم ان اصحبكم بذاتي ؟

قلت : يسرنا جداً ان نتشرف بمواكبتك وهذا مما يزيدنا تشجيعاً على اجتياز هذه الاراضي مطمئنين البال بعيدين عن المخاطر والمتاعب واذا سنحت الفرصة زرناكم يا مولاي في جبلكم . قال على الرحب والسعة . وسرنا والامير في مقدمتنا راكب جواداً من اكرم الخيل وقد وضع الى جانبه الايمن بندقية من الطراز الحديث والى الجانب الايسر سيفاً جميلا وفوق كتفيه عباءة عربية ظريفة مفتوحة على صدره يظهر في شقها على الشمال زوج مسدسات ، والخرطوش على صدره بشكل صليب ، من حوله خمسون فارساً سيوفهم مسلطة مستكملي السلاح والذخيرة ، جيادهم من اكرم الخيل وسروجها جميلة المنظر ونظيفة وعلى رؤوسها الرشمات والاعنة الملونة وكان جواد الامير يحمل حول رأسه وفوق انفه رشمة من الفضة العربية الصنع وعلى صدره كميات من الفضة المشغولة باتقان

وسارت الفرسان حتى نهاية القبيلة وبعدها صرفهم اميرهم فعادوا وبقي هو وحده معنا

وما هو غير القليل على مسيرنا حتى عدت فسألت الامير قائلا : كيف تعدلون الخوة هل ان لكم قاعدة تسيرون عليها فتعينون مبلغاً على الرجل وآخر على الدابة ؟

قال : لاقاعدة لنا ولا خطة ، انما ذلك عائد الى الظروف . فنفرض رسوماً تختلف باختلاف المقدرة المالية

ثم سألني الامير قائلا

من هذا السائح وما هي امته ؟

قلت : انه كبير من كبار الامة الروسية وقد جاء الى هذه البلاد متنكراً وهو يبغي ان يدرس حالة اليزيدية ليتمكن من العمل في سبيل مصالحتهم مع الدولة العثمانية

قال اصحيح ما تقول ؟

عائلة يزيدية

قلت : نعم مولاي وقد احببت ان ابوح لك بهذا السر كي تحسن معاملته فيحفظ جميلك ويحمل الدولة على ان تعقد معكم صلحاً يناسبكم ، وقد قيل له انكم تعتدون على المارة وتتقاضونهم رسوماً باهظة

قال : ارغب في البحث معه بشؤوننا فترجم له قولي ، فاوقفت رفيقي على عزم الامير فطاب نفساً ، ثم افتتح الامير الكلام فقال :

بلغني يا سيدي انك من الامة الروسية ، فهل اتيت الى هنا للتنزه والسياحة ام لغرض آخر ؟

اجاب السائح : اتيت سائحاً ومتنزهاً وقاصداً الموراً لها علاقتها بدولتي

قال الامير : وهل يعنينا شيء من ذلك ؟

قال السائح : نعم سيدي ، فقد عهد الي ان اقف على ما هو جار عندكم لان الدولة العثمانية تتهمكم بتعكير صفو الامن العام في هذه الربوع وبالاعتداء على المارة الذين تتقاضونهم رسوماً باهظة غير مراعين في هذا الامر رجالها الاخصاء الموكلين ادارة احكامها ، ولم نكن لنصدق ذلك لو لم نتحققه بذاتنا وها انك ترانا الان لتقبض هذا الرسم .

قال الامير : عذراً يا سيدي وعفوا فاني قد تخليت لكم عن الرسم وارجو منكم ان

تعتبروني رفيق سفر يصحبكم حتى « وردية » فلربما احوج لامر الى خدمتكم او مساعدتكم . وخدمتكم واجبة فان دولتكم المحبوبة ما فتئت تحافظ علينا منتصرة انا في سائر مشاكلنا مع الدولة العثمانية

قال السائح : ولماذا تتقاضون المارة رسماً ؟

قال الامير : اننا نتقاضاهم رسماً اسوة بالقبائل المجاورة التي تتقاضى المارة رسوما مختلفة وكلما مر احدنا باراضيها دفع لها الخوة نظير كل غريب

قال السائح . علمنا انكم منذ بضعة اشهر وقفتم في وجه والي الموصل اثناء مروره باراضيكم وطلبتم منه رسماً باهظاً فاثار عملكم هذا سخط الدولة التي بعثت يرجالها لمحاربتكم فلماذا سلكتم هكذا مع ذلك الوالي ؟

قال الامير : يا مولاي كانت الدولة العثمانية قد فرضت علينا ضريبة فاحشة ولم نكن ندفع شيئاً من مثلها فيما مضى فكان قصدنا من سلوكنا المعهود مع والي الموصل ان نفوز بالرسم فندفع الضريبة الجديدة . على ان ذلك الوالي كان كذاباً مكاراً

وهنا انقطع الحديث بين السائح والامير

والتفت الي رفيقي وهو يبتسم ابتسامة تعني اننا اصبحنا بأمن من ذلك القوم

وعندها خاطبني الامير قائلا

هم يا ترى نجعل هذا السائح يشهد فينا شهادة حسنة عند رجوعه الى بلاده فتظل الدولة الروسية تنتصر لنا وتحمينا من شر بني عثمان ؟

قلت : عليكم يا مولاي بلاطفته ومجاملته . وليس ما يمنع من اهدائكم اليه ما تستحسنون فاننا ما كثون في الموصل زمناً غير يسير . وفور وصوله الى وزديه يقدم لك الرسم الذي تريد

وما كدت اذكر لفظة رسم حتى صاح بي ذاك الامير قائلا :

حاشاي ان آخذ فلساً واحداً وساهتم في ارضائه بهدية ثمينة فما رأيك في امر هذه الهدية ؟

قلت : يمكنكم يا مولاي ان تقدموا له ذكراً او انثى من الخيل الكريمة الاصل ، او سيفاً قديماً من السيوف المرصعة

وعدت فقلت : وان شاء الله سنزور الشيخ عدي مرجعكم الديني بعد مدة

وندرس مدققاً حالة شعبكم فذلك مما يهم السائح في الدرجة الاولى لانه جاء الى هنا لاجلكم خصيصاً

قال : انت مؤكد بانكم ستزوروا الشيخ عدي ؟

قلت : نعم هذه الزيارة من ضمن البرنامج

فكان سروره عظيما عندما تاكد من زيارتنا للشيخ عدي

وما زلنا نتحدث الى ان انتهينا الى وردية وكانت الساعة السابعة مساء فذهبنا توا الى منزل شيخ البلد وكان يدعى الشيخ محمود وحين وصولنا الى المدخل طلبنا مقابلة الشيخ فاسرع الى استقبالنا فحييته مسلما ثم قلت :

نحن سياح ومعنا سائر ما يلزمنا فهل ترشدونا الى محل امين ننصب فيه خيامنا ونكون هناك تحت حمايتكم ؟

اجاب : لا امان الا داخل الدار . واني اكون مسروراً جداً بتشريفكم . قال هذا ودعانا الى الدخول فدخلنا الى باحة فسيحة ودخل معنا رجالنا ودوابنا باحمالها واسير اليزيديين ، وكان الحر شديداً فصعدنا على السطوح حيث تناولنا العشاء

وما كدنا نشرب القهوة حتى اقبل الشيخ محمود شيخ وردية وزعيمها وكبير قومه وكان من جماعة المسلمين . وشرع يرحب بنا ويتأهل ملاطفاً ومجاملا ثم سألني قائلا ؟

لماذا استصحبتم هذا اليزيدي ؟

قلت : انه قابلنا في وسط الوادي ومعه قوة مسلحة لا يستهان بها وقد طلب منا رسم المرور في اراضيه (الخوة) فوعدناه بدفع ذلك في ورديه اذ لم يكن معنا مال في تلك الاراضي . فاحب ان يصحبنا كي يقبض الرسم

وقد سمعنا بكم قبل وصولنا الى هذه البقعة فان الكثيرين يثنون على مروئتكم وشهامتكم وكرم اخلاقكم ومما قالوه لنا : اذا وقع خلاف بينكم وبين اليزيديين اخبروا الشيخ محمود بالامر فيوفق بينكم ويساعدكم كل المساعدة

فاستناداً الى ذلك جئناكم الان ومعنا هذا الامير

قال الشيخ : وهل انتم عائدون على هذا الطريق ؟

قلت : كلا لاننا قادمون على فصل الصيف فلا يسعنا احتمال الحر في الجزيرة فنفضل ان نسلك طريقاً آخر

قال الشيخ : اذا كان الامر هكذا اوعزوا الى هذا اليزيدي بالرجوع ولا تقدموا له شيئاً . وليس بامكاني ان ابقيه في ضيافتي خوفاً من ابناء جنسي فان اليزيديين الد اعدائنا . وكان الواجب عليه ان يعاملكم في بلاده معاملة ضيوف كرام ولكنه امرؤ لئيم . واعلم ان اليزيديين اغنى شعوب الجزيرة وهم يملكون اراضي جبل سنجار برمتها ولا يسع احداً غيرهم ان يملك هنالك شبراً من الارض والسهول التي مررتم بها خصبة للغاية تنتج الغلال العظيمة . ولليزيديين مواشي مختلفة وكلها من احسن الاجناس . والضرائب المفروضة عليهم من الدولة العثمانية لا تكاد تذكر وما ذلك الا لان الدولة تخشى شرورهم لانهم قوم عصاة متمردون وكفرة يعبدون الشيطان . وقد ادت بهم القحة الى طلب رسم المرور (الخوة) من جمال باشا والي الموصل فاثار عملهم هذا غضب الدولة التي بعثت بعساكرها لمعاقبتهم فكان ذلك باعثاً على الاضرار بنا لان اراضينا امست ساحة قتال فتعطلت مواسمنا ووضعت العساكر يدها على دوابنا فاستخدمتها في سبيل مصلحتها

قلت : وهل انتهت الحرب ؟

قال : كلا ، انما تهادن الفريقان منذ شهر لان الدولة الروسية قد تدخلت في الامر علها توفق بينهما

قلت : وهل ادى جمال باشا الخوة ؟

قال : لا استطيع الجزم في هذا الامر

قلت : اليوزباشي المعين في ام الديبان يقول ان جمالا لم يدفع شيئاً فقد اكتفى بان يعد اليزيديين بدفع الخوة فور وصوله الى الموصل

قال : عرفت ان الصر كان قد أرسل من حلب بطريق دير الزور ، ولما درى مأمورو المالية بان جمالا يسلك طريق الجزيرة رأوا من المناسب استرجاع الصر وارساله برفقته فيكون المال والحالة هذه بمأمن من كل خطر وكانت القيمة خمسة آلاف ليرة عثمانية وقد استولى عليها اليزيديون ، ولكنهم ينكرون الان ذلك ويقولون ان جمالا اخذ ذلك المبلغ واتهم اليزيديين بالاستيلاء عليه كي تنتقم الدولة له من اعتدائهم عليه في اراضيهم ، وقد حاربتهم الدولة من اجل هذه المسألة ثمانية اشهر فقتلت منهم عدداً وسجنت جملة اشخاص وقتل من رجال الدولة اضعاف الاضعاف واخيراً توسطت دولة

روسيا بالامر فاوقف القتال ولم تزل المخابرات جارية حتى الان

قلت : وهل تعرفون ماذا تشترط الدولة على اليزيديين ؟

اجاب : يقال ان الدولة تطلب تشييد سراي كبير في الوادي الذي مررتم به وتضع فيه قوة عظيمة وتكون اكلاف السراي من مال اليزيديين وتطلب الدولة تجريد اليزيديين من كل سلاح واخضاعهم لسائر انظمتها وقوانينها اسوة باهالي ولاية الموصل

قلت : وماذا يطلب اليزيديون ؟

قال : لا يرفض اليزيديون شيئاً من مطالب الدولة ، ولكنهم يشترطون ان يكون حاكم منطقتهم يزيدياً وان تتألف حكومتهم من رجالهم دون غيرهم وان يكون لهم في بلادهم شرائع خاصة بهم وان يكونوا مستقلين عن الدولة يتمشون على عاداتهم القديمة ويؤدون للدولة ضريبة سنوية يجبونها من بلادهم بدون تدخل اجنبي ويبعثون بها الى الحكومة العثمانية

قلت : وهل اليزيديون متفقون باجمعهم على ذلك

قال : نعم

قلت : وهل من يزيديين في منطقة غير هذه ؟

قال : ان اليزيديين كثير عددهم في شرقي دجلة ولهم رئيس ديني في « الشيخ عدي »

قلت : وهل لهذا الرئيس علاقة بثورتهم ؟

قال : كلا ، ليس له ادنى علاقة بثورة قومه فهو لا يتدخل بالاشياء الزمنية ، والدولة تحترمه وتحبه لانها متحققة من تحابده التام ، واذا ذهبتم الى « الشيخ عدي » قابلوا الامير فتجدوني صادقاً بكلامي

قلت : وما رأيك الان بهذا اليزيدي ؟

قال : اصرفه ولا تكترث له اصلا فلقد خرجتم من منطقته ولا يسعه ان يلحق بكم ادنى اذى

وعندها ناديت امير اليزيديين وقلت له : ان رفيقي الرومي مستعد لتأدية الخوة فمر لنا باشعار باستلامك المبلغ وضع الى جانب توقيعك توقيع شاهدين

قال : اما قلت لك يا سيدي انني لا اريد شيئاً انما اطلب منك ان تقنع رفيقك

ليساعدنا لدى ارباب دولته لاننا مظلومون كل الظلم من قبل الدولة التركية التي تكرهنا لاننا لا ندين بالاسلام وجميع القبائل في هذه البلاد من الاسلام

قلت : الا يوجد مسيحيون في هذه الامصار ؟

قال : ان عددهم قليل جداً وهم مظلومون نظيرنا بل اكثر ونحن على نوع من الانواع ندافع عن كرامتنا اما المسيحيون فهم عبيد ارقاء للاكراد والمسلمين وستتحققون ذلك في الموصل حيث المسيحي مستعبد ايضاً

قلت : سابذل جهدي لاقناع رفيقي على مساعدتكم . وعلى الله الاتكال . وكان الشيخ حمود يسمع الحديث فالتفت الى امير اليزيديين وقال :

يا هذا انت تتهم الدولة بالتعصب الديني ولكنها لا تظلمكم بشيء انما هي تريد صيانة الامن العام وانتم تعكرون صفوه ومتى استتبت السكينة في بلادكم عاملتكم الدولة بالحسنى . ثم انك تقول ان المسيحيين عبيد ارقاء في هذه الربوع فقولك هذا في غير محله . وعلى فرض انه كان صحيحاً لا يليق بك ان تصرح بذلك على مسمع من هؤلاء الضيوف وهم من جماعة المسيحيين .. ارغب منك يا صاح ان ترجع الى بلادك

فنهض اليزيدي لوداعنا وقد سألني آنذاك اين يستطيع ان يقابلنا في الموصل فاجبته انه يتمكن من معرفة مقرنا بواسطة قنصلية دولة روسيا فودعنا وانصرف

١٧ نيسان

نهضنا باكراً جداً حوالي الساعة الخامسة صباحاً وشكرنا الشيخ محمود على ضيافته وودعناه وسرنا قاصدين الى عين الغزال فكنا هناك عند الظهر

وعين الغزال نقطة عسكرية كبيرة الى جانب قرية صغيرة فيها خان على ضفة جدول يسمونه عين الغزال وهو عذب الماء

وكان آنذاك في القرية عدد من العساكر العثمانية المعدة لتدويخ اليزيديين

نصبنا الخيام داخل الخان وبتنا هناك ليلتنا . الطريق بين وردية وعين الغزال تختلف عن جميع الطرقات التي سلكناها في اراضي الجزيرة فهي مأهولة بالسكان على جانبي الطريق حيث يهتمون بالزراعة ، الماشية عديدة وسمينة

١٨ نيسان

حوالي الساعة السادسة صباحاً جاءنا دركي وطلب مني ان اذهب بمعيته لمقابلة قائد الجند العثماني فبادرت الى تلبية الطلب ، و كان القائد بكباشياً لطيفاً مهذباً وقد دعاني للجلوس الى جانبه وقدم لي لفافة ثبغ وفنجاناً من القهوة الفاخرة ، ثم سألني قائلا :

بمن التقيتم في مسيركم في وادي سنجار ؟

قلت : التقينا اناساً عديدين ولكن اهمهم كان امير اليزيديين

قال : ابو ريشه ؟ وماذا كان من امركم معه ؟

قلت : انه طلب منا (الخوة) رسم المرور في اراضيه فاجبناه اننا لا نحمل مالا فان شئت اصحبنا الى وردية فنعطيك مطلوبك . غير اننا تماصنا منه بحيلة لطيفة

قال : لا حق له بذلك والدولة ناقمة عليه وعلى شعبه بسبب اعتدآتهم على المارة واعاد البكباشي ما كان من امر اليزيديين مع الدولة اذ قال . ان دولة روسيا تداخلت بالامر واوقف القتال قبل ان يلقي القبض على « ابو ريشه »

قلت : الحمد لله كان مرورنا بوادي سنجار سليم لانه لو شاء « ابو ريشه » ضررنا كان يمكنه بكل سهولة حيث لديه قوة مسلحة كبيرة ونحن عددنا قليل بالنسبة . ياحبذا لو تضع الدولة قوة في وسط الوادي لبينما تنتهي المخابرات ولو الثجآت لابوائها في الخيام فتتحسن الحالة لان وسط الوادي خطر ولا قوة للدولة فيه وبين ام الديبان وعين الغزال حيث توجد القوات الان عشر ساعات مهما جرى في الوادي يبقى مجهولا

قال : رفعت تقريراً بهذا الخصوص على اثر توقيف القتال وحتى الان لم يرد علي الجواب .

ثم قال : اين ذاهبون اليوم ؟

اجبت : الى (تلعفر) لاننا متوجهون الى الموصل

قال : كونوا على حذر من القبائل . و كان ذلك البكباشي يجيد اللغة العربية التي خاطبني بها . فشكرت له عطفه وودعته عائداً الى مركز المحلة . و كان رجالنا مستعدين للسفر فمشينا عند الساعة الثامنة صباحاً . وحوالى الساعة الاولى بعد الظهر انتهينا الى مهل فسيح قاحل لا عشب فيه ولا خضرة هب فيه اعصار قوي حار كاد يرقعنا عن ظهور

جيادنا . ثم ما لبثنا ان شاهدنا على بعض المسافة عدداً وفراً من خيام السوداء . سألت الدركي حارسنا : ما هذا ؟ فاجابني : هذه خيام الجعافرة وهم قبيلة كبيرة سيئة الاخلاق .

وانا لكذلك اذ اقبل علينا فارس في مقتبل العمر تبدو على وجهه مخايل الشهامة والبأس وكان وراءه جمهور من الفرسان

ولما صار على مقربة منا بادرنا بالتحية والسلام والانس بتدفق من محياه ، رددنا عليه سلامه وتحيته

سألنا : من انتم واين وجهتكم ؟

قلنا : نحن سياح غرباء ذاهبون الى الموصل

قال : كيف اجتزتم الجزيرة ؟

قلنا بالهدوء والسكينة لم يزعج سفرنا شيء

قال : وكيف عاملكم اليزيديون ؟

قلنا : بكل مجاملة

قال : وماذا تقاضوكم رسما على مروركم بارضهم ؟ (اخوة)

قلنا : ما تقاضونا شيئاً ، بل ان اميرهم عنوان اللطف وكرم الاخلاق وقد رافقنا حتى « وردية »

فتعجب الفارس وقال : هي المرة الاولى التي نسمع فيها ان اليزيديين كرماء الاخلاق فقد اشتهروا باللؤم والنذالة واعمال اللصوصية وقلما راعوا ضيفاً او ماراً بارضهم

ثم التفت الي الفارس وقال : وهل تعلمون اين انتم الان ؟

قلت : نحن الان على حدود الجعافرة

قال : وهل انتم عازمون على المرور في وسط القبيلة ؟

قلت : سنؤدي الواجب علينا فان سمحوا لنا بذلك فعلنا والا فلا

قال . وماذا تعني بالواجب ؟

قلت . حين ننتهي الى مدخل القبيلة نبعث الى اميرها برسول يستأذنه بدخولنا ونقف منتظرين جوابه

قال . واني اسير معكم الى مدخل القبيلة

قلت . الف شكر لك يا سيدي

شيخ الجعافرة واركان قبيلته

وسرنا جميعاً الى ان انتهينا الى مدخل القبيلة وهناك وقفنا المسير وبعثنا الى الامير برسالة مع فارس يستأذنه بمرورنا في ارض القبيلة ومكثنا ننتظر جواب الامير وحملنا الرسول عباءة ثمينة من الحرير هدية للامير . وما مرت ساعة من الانتظار حتى عاد رسولنا بجمهور من الفرسان يتقدمهم شاب امرد ربعة القامة

وحين انتهوا الينا ترجلوا جميعاً ودنا منا الشاب الامرد ورحب بنا باشاً وقال :

بعث بي والدي استقبلكم هنا واكون بخدمتكم حتى منزله هلموا بنا

سرنا جميعاً بين الخيام التي لا تحصى فكنا نشاهد قطعان الموشي المتنوعة مالئة تلك المروج والوديان

ولما بلغنا سرادق الشيخ والد ذاك الشاب الامرد استقبلنا على الباب رجل في عقده الرابع على وجهه علائم الهيبة والوقار وكرم الاصل وكان الى جانبيه كثير من الحشم والعبيد ، فابتدر كلامه قائلا : مرحباً بالضيوف الكرام ! مرحباً ! تفضلوا وادخلوا

واجلسنا الشيخ على مقعد من السجاد العجمي الفاخر . وكان الشيخ هذا يدعى الشيخ قدري وهو امير تلك القبيلة

والتفت الي الامير وقال : أملنا انكم تبيتون عندنا ليلتكم هذه

قلت : لا يسعنا ان نبيت ليلتنا هنا لاننا عازمون على متابعة السفر الى تلعفر

قال: انها قرية بقطنها جماعة من مهاجري الاتراك واظنكم لا تستحسنون معشرهم. خير لكم ان تظلوا الليلة في ضيافتنا ونكون لكم من الشاكرين

قلت : وقتنا قصير لا يمكننا من تلبية طلبكم يا سيدي الامير وعلى كل حال نحن شاكرون لالطافكم وكرم اخلاقكم

ونهضنا نودع الامير فارسل بمعيتنا بعضاً من رجاله وقد رافقونا الى الطريق السلطاني حيث كنا تركنا الحملة تسير امامنا الى تلعفر فانتهينا اليها حوالي الساعة السادسة مساء ونصبنا الخيام في مركز ملائم . وما كدنا نأخذ بعض لراحة حتى جاءنا مدير الناحية وكان شابا تركياً لطيفاً . فقال لنا : انا مدير الناحية واني سعيد لتأدية كل ما يؤول الى راحتكم . شكرناه على عاطفته وبدنا ليلتنا بهناء

اوتيل فكتوريا

عين زحلتا — لبنان

لصاحبه . الياس نجوم

يقوم في وسط حرش الصنوبر

هوائه ناشف مجهز بجميع وسائل الراحة مطبخه متقن محاط بالمناظر الطبيعية الجميلة

١٩ نيسان

خرجنا من تلعفر الساعة السادسة صباحاً وجهتنا « طيشه » وحوالي الساعة الحادية

عشرة كنا على مدخل واد مخيف تحيط به الجبال العالية وكان الحر شديداً جداً ولا ماء لنا هناك . وكنا قد تعبنا من السفر تحت شمس محرقة فمكثنا نستظل بصخرة كانها مغارة . وجددنا مسيرنا فكنا بعد مسافة صغيرة امام منعطف من الطريق حيث شاهدنا رجالا ثلاثة باسلحتهم فابتدرنا احدهم بالتحية والسلام فرددنا عليه تحيته وسلامه ثم سألنا : اين ذاهبون ؟

قلت : الى « طيشه »

— ومن اين آتون ؟

— من عند الجعافرة ومن تلعفر

— اي متى كنتم عند الجعافرة ؟

— امس مساء غير اننا رقدنا الليلة الماضية في تلعفر

— وهل معكم المال الكافي لرحلة كهذه ؟

— لا نحمل نقوداً رنانة بل حوالات مالية على المصارف نقبضها في المدن ونشتري ما يلزمنا

— اذاً لا تحملون مجيديات ؟

— معنا منها شيء قليل نضطر اليه في بعض الاحيان

— وها شقد (كم) معكم ؟

— نحو عشرين مجيدياً

— تريدون ان تساعدونا ببعضها ؟

— وهل انتم فقراء ؟

— نعم

— عجباً ! لقد اجتزنا الجزيرة من اولها الى آخرها ولم نشتم فيها رائحة الفقر بل رأينا الرخاء ضارباً اطنابه من اقصاها الى اقصاها الى اي قبيلة تنتسبون ؟

— لسنا من القبائل

— وهل في الجزيرة قوم لا ينتسبون الى قبيلة ؟

— لسنا من البدو وبلدنا « طيشه »

— وماذا يدعوكم الى الاقامة في هـذه النقطة الا تؤثرون العمل في قريتكم على

طلب الصدقة من المارة وليس المارة هنا بالكثيرين فيما اظن (لم يخف علي ان اولئك الرجال كانوا من قطاع الطريق على الرغم من تظاهرهم باللين فانهم يبدأون هكذا وينتهون بالعنف)

قال احدهم : يا هذا ليس ما يدعو الى اطالة هذا الكلام . نحن هنا نطلب المساعدة من جميع المارة فاذا ساعدونا مختارين شكرنا لهم معروفهم واطلقنا سبيلهم والا اضطررنا الى الضغط والقوة

وبينما كنت اجادلهم كان خليل الشاوول يتفقد المكان ليرى ما اذا كان اولئك الرجال قد استصحبوا غيرهم من الاشقياء ولما تحقق تجردهم من كل عضد عاد مطمئناً والتفت الى ذاك الذي كان يخاطبني وقال :

اذا رفضنا مساعدتكم فماذا يكون ؟

قال الرجل . نجبركم على دفع المال بقوة السيف .

قال شاوول : نحن مصممون على عدم مساعدتكم فافعل ما تشاء .

وعندها بادر الرجل الى سيفه يريد اخراجه من غمده فما كان من خليل الا انه انقض عليه كالبرق وطرحه على الارض بعد ان جرده من سيفه وبندقيته . وكان سائر رجالنا قد استعدوا للنزال . ثم التفت خليل شاوول الى رفقاء الرجل وقال . وانتم ماذا تريدون ؟ احرباً ام ماذا ؟ فلما شاهد هؤلاء ما حل برفيقهم ارتخت عزيمتهم وطلبوا النجاة بنفوسهم . واشرت الى خليل شاوول ان يعيد الى الرجل بندقيته وسيفه ففعل . ثم عدنا الى متابعة السير فانتهينا الى طيشه حوالي الساعة الرابعة مساء فنزلنا على مقربة من بحيرة كبيرة تتجمع مياهها من الامطار

طيشه قرية صغيرة من املاك غني من اغنياء الموصل . فيها ينبوع ماء صغير وماؤه عذب لذيذ . لا سوق في القرية ولا حوانيت تستحق الذكر وغلتها قليل من الحنطة والشعير . والحر هنالك شديد جداً وقد عرفت طيشه بكثرة العرانق في اراضيها وينتفع الاهالي من بيض هذا الطائر وهو افضل مواسمهم

هذا هو الطائر الذي قيل عنه (ضرره على مصر وخيره للعراق) يسافر هذا الطير كل سنة الى القطر المصري في ايام المواسم ثم يعود الى بلاده يبيض فيها

٢٠ نيسان

غادرنا طبشه الساعة السادسة صباحاً وكان الدركي دليلنا بتقدم الحملة · ومر علَى مسيرنا وقت يناهز ساعات اربعاً فاذا بنا عند مدخل ممر ضيق لا يكاد يعبر فالتفت الي الدركي وقال : هذا مضيق خطر للغاية يحيط به قطاع الطرق من قبيلة عرب شمر فلا جرأة لي على اجتيازه في مقدمتكم لاني اخشى الغدر ولذلك اود ان اكون الاخير في عبوره ·

قلت : ان كان الامر هكذا دعني اعبره قبل الجميع · ففعلت وتبعني رفيقي السائح ثم رجالنا الواحد تلو الاخر ثم الدركيين ولم تقع اعيننا على احد من قطاع الطرق · وبعد مسير نصف الساعة انتهينا الى موقع عريض نوعاً ما في وسط الممر ذي كهفين احدهما عن اليمين والثاني عن الشمال · وبغتة ظهر امامنا فارس مقبل من الجهة الشمالية وكان متوسط القامة تنم ملابسه عن اصل كريم ولم يكن يحمل من الاسلحة سوى السيف فدنا مني وقال : مرحباً يا ولد

قلت : ولماذا تدعوني ولداً وانا في عنفوان الشباب ؟

قال ضاحكاً : لفظة ولد تعني عند العرب (خوش راجل) ثم عاد فقال :

لا تخف فاني صديق جئت رفقكم الى حيث تقصدون ، واذ كنا سائرين معاً سألني قائلا : ألم يعلمكم احد بمخاطر المضيق الذي عبرتموه منذ نصف ساعة ؟

قلت : بلى لقد اخبرنا انه ملجأ للصوص وقطاع الطرق ولكننا تعودنا الاخطار فلم نعد نبالي بها ··· وما مرنا مسافة قصيرة حتى خرجنا من المضيق وانتهينا الى سهل فسيح ظهر امامنا فيه نحواً من خمسماية فارس اصطفوا على الجانبين · وكان ذلك الفارس يسير

حمام مدر اوتيل طرابلس

قديماً نيو رويال اوتيل

احسن لوكندة في طرابلس بناية ارابيسك من الداخل حديثة البناء والفرش — الخدمة والمطبخ فيها على الطريقة الحديثة اسعارها معتدلة

في مقدمة حملتنا . فما كاد يؤدي به المسير الى اولئك القوم حتى نادوا بالصوت الواحد عاش مولانا الامير ، واقترب من الامير عبدان حملاه ثم وضعاه على ظهر فرس من اجود الكحايل العربية واجملها . سرجها متقن مزركش بالقصب اللامع والشراريب الحريرية على رأسها رشمة فضية متقنة الصنع على صدرها سابند من الفضة مشغول على طريقة الرشمة ولما التف الفرسان حول الامير ادهشنا هذا الموكب الفخم وبينما نحن نفكر ما تراه يكون سبب اجتماع هؤلاء الفرسان في تلك البقعة ، التفت الي الفارس وقال . نحن هنا لاجل حمايتكم وقد مر على وجودنا في هذه البقعة اربعة ايام بلياليها فان اخي محمد شيوخ امير قبيلتنا الذي احسنتم ضيافته في دير الزور كان يتوقع وصولكم الى المضيق في السادس عشر من الشهر الحالي . فامرنا بحراستكم لانه يعلم ان هنالك قوماً اسافل يعتدون على المارة وينهبونهم وكثيراً ما ينكلون بهم

قلت : بارك الله فيك وفي اخيك وفي سائر قومه . لقد غمرنا بجميله ثم سرنا بحرسنا اولئك الفرسان . وبعد هنيهة انتهينا الى مفرق مسالك عديدة يؤدي احدها الى مضارب قبيلة محمد شيوخ . وكان هذا الامير ينتظرنا عند ذلك المفرق . فلما رآنا ترجل وصاح باعلى صوته : مرحباً بالكرام ! مرحباً ! اهلا وسهلا

وترجلنا جميعاً ودنوت ورفيقي السائح من الامير نمد ايدينا للتحية فابتدرنا الامير قائلا . كيف عبرتم الجزيرة ؟

قلت : بحوله تعالى وانظاركم عبرناها بدون ما كدر وقد لقينا هنالك كل اكرام وحفاوة .

قال : كيف استقبلكم عرب الجبور ؟

قلت : ان اميرهم صديقك الشيخ حمود احسن ضيافتنا وغمرنا باحسانه وعمل كل ما بوسعه في سبيل راحتنا وبعث بمن ارشدنا الى الطريق الامين

قال : وانتم الان قادمون على قبيلة ثمر ، وهذه اكبر واقوى قبيلة في الجزيرة ، وستمرون هنالك اموراً ما رأيتموها عند بقية القبائل

قلت : لنا اعظم فخر واكبر شرف بزيارتكم يا سيدي الامير . وسرنا والامير الى القبيلة وكانت مضاربها منصوبة في وسط سهل فسيح تجمله الخضرة وقد امتلأت ارضه بقطعان المواشي المتنوعة

لوصول الى شمر

وكان بيت الامير قائماً على ستة اعمدة في اعلى كل منها رمانة من النحاس الاصفر وقد علق على تلك الرمانات عدد من السيوف العربية المرصعة بالحجارة الكريمة

واجلسنا الامير في خيمته وامر لنا بالقهوة ثم طفق يتكلم والبشر يتدفق من وجهه اللطيف

ومما قال : كنت خائفاً جداً على حياتكم واموالكم . ولذا بعثت الى ذلك المضيق الخطر باخي وبفرساني يحرسونكم ويحمونكم من قطاع الطرق

فقلت شاكراً : لا يسعنا يا مولاي ان نعبر لكم عما في قلبنا من شواعر الامتنان لعطفكم علينا ولكرم اخلاقكم كما وانه لا يسعنا ان نكافئكم على جميلكم هذا . الله وحده قدير على ذلك

وكانت الساعة الواحدة بعد الظهر فاستأذنت الامير بالخروج لتناول الطعام فأبى علي ذلك وقال : انكم تأكلون عندي ما زلتم في ارض قبيلتي ولا اسمح لكم قط بان تأكلوا على مائدتكم . فلم يسعنا الا الطاعة

وطلبت من الامير ان يأمر لنا باعداد مكان ننصب فيه خيامنا فاجابني : كن مطمئن البال ، لقد اعددنا كل شيء وكان ذلك الامير الكريم الاصل قد امر بنصب

بيت الاستقبال في شمر

خيامنا على مقربة من بيته

دخلنا «بيت الاكل» خيمة كبيرة قائمة على ستة اعمدة مفروشة بالسجاد الفاخر المعمول منه كرامي فردية يجلس واحد على كل منها ، والمائدة معمولة من مرج الجمال الخشبية يضعونها بعضها فوق بعض وفوقها سجاد وخرجة على الجانبين و كان منظرها جميلا للغاية

و كان على المائدة امير القبيلة واربعة من ار كانها وبعض شيوخها وانا ورفيقي السائح و كنت قد اعددت لذلك الامير هدية تليق به فقدمتها له على مرأى من الجمهور و كانت مؤلفة كما يلي :

١) سيف عربي جميل
٢) عباءة حريرية مطرزة تطريزاً بديعاً
٣) حرام حريري فاخر
٤) كمية كبيرة من لفافات التبغ اللبناني من معملنا في بيت شباب . فقبلها الامير مسروراً شاكراً

وبعد شرب القهوة التفت الي الامير وقال :

ماذا رأيتم في الجزيرة ؟

قلت : اشياء كثيرة

قال : وهل اسمعوكم انغام الربابة والقصب ؟

قلت : كلا

قال : اذن اكراماً لكم ستكون ليلتنا الاتية ليلة طرب نسمعكم فيها الانغام الشجية

قلت : شكراً لكم يا سيدي الامير

ثم خرجنا من عند الامير نبغي الاستراحة في خيامنا

وعند الاصيل دعونا الامير واخاه لتناول الشاي فقبلا دعوتنا مرتاحين شاكرين . ولما جاء وقت العشاء دعوناهما للعشاء عندنا فرفضا وقال محمد شيوخ عندنا هذا امر مفروض وكل شيء جاهز واول عشاء تأكلونه في الجزيرة من نوعه

قلت . ما هو ؟

قال : جذاء الواحد عمره شهر واحد لا يزال على الحليب ذبحنا عشرة لكل واحد جذي يهيئونه على الطريقة العربية اعني انهم يقونه كاملا بدون تقطيع اظن انكم تحبون هذه الاكلة لانها لذيذة جداً فرضينا . ولما جاء وقت العشاء جئنا الى بيت الامير فسار بنا الى الخيمة المعدة للاكل (بيت الاكل) فقدموا لنا الجذاء مرتبة بعضها فوق بعض وكان امام كل مدعو صدر صغير لا شيء عليه فاخذ احد الحاضرين يوزع الجذاء على الصدر فكانت اكلة لذيذة حقيقة

قلت : كيف يطبخون هذا الجذاء ؟

عشي الامير يسلخ الجذاء

قال : على بعر الجمال بنار خفيفة وبطيئة حتى يستوي على مهل ويحفظ الادام حوله كما ترونها

وبعد العشاء سرنا جميعاً الى خيمة الطرب حيث اجلسونا على مقاعد من الفخر السجاد العجمي . وشرع المغنون يطربون الاذن بمختلف اناشيدهم وطقاطيقهم الموقعة على اصوات الربابة

رقص الدبكة في شمر

والقصب وكان العازفون على الربابة خمسة ومثلهم العازفون على القصب وقد انهوا تلك الليلة برقص الدبكة وكانوا بين الساعة والاخرى يقدمون لنا القهوة . ودامت تلك السهرة الى ما بعد نصف الليل . وفي آخر الامر استأذنا الامير وعدنا الى خيامنا نرتاح بقية ليلتنا .

٢١ نيسان

نهضنا من رقادنا متأخرين فجاءنا احد رجالنا ينبئنا بقدوم امير القبيلة الينا وكانت الساعة التاسعة صباحاً فاسرعت الى استقباله طالباً منه ان يشرب القهوة عندنا فاستجابني بكل لطف ودعة ثم قال . لقد جئتكم باكراً لاذهب بكم الى التنزه قبل طعام الظهر فتفضل واعلم رفيقك بالامر كي يتهيأ للخروج فقلت للسائح مقبل الامير فارتدى الاثواب اللائقة وسرنا والامير الى الجهة الشمالية . وما كدنا نجتاز المضارب حتى كنا على ارض مشققة ترتفع من شقوقها السنة الحيات والافاعي الحمراء فهالتنا منظرها فقلت للامير :

اما تخافون شر هذه الافاعي ؟ اما تلحق الاذى بمواشيكم ؟

قال : عندما نؤم هذه البقعة نوزع اجربة فيها مجبنة فتشم الافاعي رائحة المجبنة فتفر

هاربة وننصب اذ ذ ك الخيام

قلت : و كيف تحمون لماشية من اذاها ؟

قال : عندما نسرح الماشية للمرعى نسير قدامها الجمال وعليها المجابن فتهرب الافاعي والحيات . وهذه الطريقة تدفع عن الماشية اضرارها ولدغاتها . على انه لا بد من بعض الحوادث في السنة ونستعمل النار لمداواة اللسع فاننا نجرح المكان الملسوع ونكويه بالنار فيبرأ للحال

وتابعنا المسير فانتهينا الى مهل فسيح جملته الطبيعة بخضرتها واذا بنا امام عشرين بدويا يروضون مائة مهرة تتراوح اعمارها بين السنة والخمسة عشر شهراً . و كان بيد كل من المروضين مرزبة طويلة من جلد وشعر . سألت الامير ما هذا ؟ فاجابني :

اظنكم ما رأيتم شيئاً من مثل هذا في بقية القبائل فقبيلتنا هي الوحيدة التي تعتمد قبل كل امر على ترويض الخيل وتعليمها فنمرنها صغيرة على اللعب مجردة من اللجام والمقود

قلت : لا شك ان المروضين يتعبون كثيراً

قال: ولكنهم يربحون كثيراً

قلت : و كيف يربحون ؟

قال يأخذون فرساً مكافأة على ترويض عشرين . نعطيهم مائة وخمسة رؤوس فيرجعون لنا مائة

قلت : ومن يختار الفرس ؟

قال : هم يختارون الفرس الذي يريدون ، ولا فرق عندنا بذلك لان خيلنا كلها من اصل كريم مشهور

وصرفنا الوقت هنالك ثم عدنا عند الظهر الى المضارب وعندها دعانا الامير للغداء عنده قائلا : اليوم غداء كم عندي شيء جديد لم تأكلوه بعد

قلت : ما هو هذا الغداء الجديد ؟

قال : خروف صغير

فاجبته ضاحكا : لم نأكل غير هذه الاكلة كل مدة وجودنا في الجزيرة

قال : لم تأكلوا مثلها ابداً هذا يسمونه (خروف بخيره) يسمونه الشوام (قوزه)

قلت : كيف تهيئونه ؟

بيت السهرة في شمر

اجاب: نلف الخروف بجلده دون تقطيع ونطبخه تحت التراب على نار خفيفة تحيط به وبعد الغداء اخبروني ما اذا كان اكلتم مثلها قبل الان

تناولنا الطعام على مائدة الامير وكان الاكل لذيذاً للغاية

وعند الساعة الرابعة جاءنا الامير يشرب معنا الشاي ومكث عندنا الى الساعة الثامنة مساء ثم سرنا برفقته الى خيمة الطعام وتعشينا على مائدته واحيا لنا ليلة طرب ثانية

٢٢ نيسان

كنا عازمين على الرحيل في صباح ذلك اليوم ولكن الامير حال دون سفرنا مدعياً ان عادة الضيافة عندهم ثلاثة ايام كاملة

وكان الامير عندنا حوالي الساعة التاسعة صباحاً فشربنا القهوة معاً. وحوالي الساعة العاشرة اقبل عبدان يقود كل منهما جوادين، فقال الامير:

اركبوا جياد كم وهلموا بنا، ففعلنا وركب الامير جواده وسرنا واياه والعبدين وكانت وجهتنا الناحية الغربية من القبيلة

وانتهينا الى محل فسيح فشاهدنا جمهوراً من الناس يحيطون بعدد عظيم من الفرسان، وكان ذلك المكان ميداناً للسباق وقد اعدته القبيلة لترويض جيادها

وعندها التفت الي الامير وقال: اننا نحذو حذو جماعة الحضر فيما يختص بسباق الخيل ولذا ترانا جهزنا هذه الساحة على الطراز الحديث المعمول به في المدن العامرة

ينشفون الجبن فوق بيت الشعر

وجميع هـذه الجياد التي ترونها في هذا الميدان تباع في الهند لجماعة الانكليز

قلت : وهل تذهبون الى الهند تبيعونها ؟

قال : كلا ، ولكن قوما متعهدين بشتراهـا ياخذونها منا ويحفظونها في الموصل فيأتي اناس من الهند يبتاعونها . وحين وصولكم الى الموصل تشاهـدوا الاخورات الكبيرة وفيها سائر اجناس الخيل .

وشهدنا السباق فاذا هو صورة طبق الاصل للسباق في الاسكندرية او في القاهرة وعدنا من الميدان الى المضارب وكان الظهر قد فات فقال الشيخ ابي محضر لكم غذاء جديداً لم تأكلوا مثله في الجزيرة . فذهبنا الى خيمة الاكل وكانت الساعة الثانية بعد الظهر واكنـا على مائدة الامير عصافيراً قدموها في صواني صغيرة صينية لكل من المدعوين وعلى كل صينية كمية من العصافير مجهزة بالسمن

قلت : ما هذه العصافير ؟

قال : عادية

قلت : كيف تلتقطونها بهذه الكميات :

قال : بعد الظهر اريكم كيف نجمعها

ثم بعد الغذاء ذهبنا الى خيامنا ناخذ قسطنا من الراحة .

وعند الساعة الرابعة اقبل الامير لتناول الشاي كعادتنا ثم سار بنا الى الجهة الجنوبية من القبيلة ، وما انتهينا الى مهل فسيح حتى شاهدنا بعض نواطير القبيلة ينصبون شراكا يصطادون فيها العصافير الصغيرة ، وما مر نصف ساعة على عملهم هذا حتى التقطوا نجواً

من الفي عصفور ، وقد امر الامير ان ترسل هذه العصافير لما لنأخذها زاداً الى الموصل فاخذنا قسما منها وشكرناه على ذلك

وعند الساعة السادسة مساء رجعنا الى المضارب فطلبنا من الشيخ ان يتعشى عندنا فقبل دعوتنا . وفي الاجل المضروب دخل علينا يواكبه بعض مشايخ القبيلة واركانها وبعد العشاء امر باحضار المغنين والراقصين فجؤا واحيوا ليلة طرب ثالثة دامت الى منتصف الليل

٢٣ نيسان

حوالي الساعة السادسة صباحاً اقبل الشيخ محمد وكنا قد تأهبنا للرحيل وبعد ان شربنا القهوة قال الشيخ

لقد اعددت خمسين من فرساني لمرافقتكم الى الموصل

قلت : لا نريد التثقيل عليكم يا سيدي الامير وليس ما يدعو الى ارسال

الرقص بالسيوف في شمر

هؤلاء الفرسان لمرافقتنا . على انه يكون لنا اكبر شرف اذا تفضلتم ورافقتمونا بذاتكم قال حسناً . فاني ارافقكم بذاتي

ثم امر فاحضروا له فرساً كريماً . وللتهيأنا للسفر التفت الي وقال : رويداً . لقد قدمت لي هدية فقبلتها شاكراً . واني اريد ان اقدم لك هدية تحفظها تذكاراً لهذه الزيارة . وما انجز قوله هذا حتى رأيت عبداً يقود فرساً جميلا وقد دنا مني وسلمني مقود الفرس فقبلت هدية الامير ممتناً لمعروفه

وركبت الفرس الجديد وسرت ورفيقي والامير والى جانبه عبدان من اشجع الفرسان ووراءهما خمسون فارساً من قبيلة الامير . وكانت الساعة الثامنة صباحاً . وعند الظهر كنا

على مقربة من ينبوع ماء عذب غزير يتدفق في وسط غابة كثيفة فترجلنا نتناول طعامنا في تلك الروضة الجميلة . ثم عدنا الى المسير فانتهينا الى الموصل عند الساعة الخامسة مساء فنصبنا خيامنا على ضفة دجلة الشرقيـة امام « نينوى » وقـد قضينا ليلتنا مضطربين لاننا علمنا بعد نصب الخيام ان في دجلة مداً وجذراً فخشينـا ان يأتينا النهر بمده فيغمر خيامنا واشياءنا

بدوي يرقص بالسيوف في شمر

واحب السائح ان يطلع على بعض عادات تتعلق بالعربان فاوعز الي ان استفهم من الشيخ عما يلي:

اذا وقع خلاف بين قبيلتين كيف يحسمونه . واذا قتل بدوي بدويا من غير قبيلة كيف يكون القضاء ؟

اجاب الشيخ : العـدل عندنا اساس كل عمل . غير ان رأس الشريف برأسين عند العرب جميعهم .

ولعرب البادية طرائق في المحاكمة وتقاليد يحترمهـا الجميع الى يومنا هـذا فاذا وقـع الخصام بين قبيلتين تنتحيان الى ملك واحد من ملوك العرب فصل الخصام في ديوان الملك الخاص .

يخضون السمن في شمر

اما القبائل المنتشرة في ارضي الجزيرة فهي لا تنتمي الى ملك من الملوك وطريقة احكامها هكذا - تنتخب كل من القبيلتين المتخاصمتين اثني عشر رجلا منها لاثبات دعواها فيكون مجموع الفريقين اربعة وعشرين رجلا ينقسمون الى ثلاث فئات . كل ثمانية رجال يؤلفون فئة ويكون اربعة منهم من كل فريق وقد اطلقوا على الفئة الاولى اسم « الجزامين » وعلى الثانية اسم « المخبرين » وعلى الثالثة اسم « المساوين » ويقسم الجميع بالقرآن الشريف انهم يحكمون بالعدل والانصاف

ثم يجزم الجزامون في نوع القضية ، ويشهد المخبرون بما يعلمون من اثرها ثم يصدر المساوون حكمهم الذي لا يقبل اعتراضاً او استئنافاً او تمييزاً

اوتيل بالمير بعلبك

لصاحبه ميشال الوف

لوكندة من الدرجة الاولى ، غرف بحمامات ماء جارية ، نظارة جميلة من قلعة بعلبك المعجبة . فيها جميع لوازم المسافر — الخدمة فيها عائلية والمطبخ ممتاز

كران نيو اوتيل بعلبك

لصاحبه فؤاد عريد

لوكندة من الدرجة الاولى — حمامات خصوصية ، ماء جارية من حولها حديقة جميلة ، النظارة منها بديعة من ضمنها اثار بعلبك العظيمة تحتوي على جميع وسائل الراحة مطبخها متقن ، والخدمة فيها ممتازة